سورة الفاتحة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة تفسير سورة الفاتحة

يقال لها: الفاتحة أى فاتحة الكتاب خطًا وبها تفتتح القراءة فى الصلوات، ويقال لها أيضًا أم الكتاب عند الجمهور، كرهه أنس، والحسن وابن سيرين كرها تسميتها بذلك.

قال الحسن وابن سيرين: إنما ذلك اللوح المحفوظ.

وقال الحسن: الآيات المحكمات هن أم الكتاب ولذا كرها أيضًا أن يقال لها: أم القرآن.

وقد ثبت فى الصحيح عند الترمذى [(١)] وصححه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثانى والقرآن العظيم» ويقال لها (الحمد) ويقال لها (الصلاة) لقوله** ﷺ عن ربه: **«قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين قال الله: حمدنى عبدى. . . . .» الحديث** [(٢)].

فسميت الفاتحة صلاة لأنها شرط فيها ويقال لها: (الشفاء) لما رواه الدارمى [(٣)] عن أبى سعيد مرفوعًا **«فاتحة الكتاب شفاء من كل سم»** ويقال لها: (الرقية) لحديث أبى سعيد فى الصحيح [(٤)] حين رقى بها الرجل السليم فقال له رسول الله ﷺ: **«وما يدريك أنها رقية»؟**.

وروى الشعبى عن ابن عباس أنه سماها: (أساس القرآن) قال: وأساسها بسم الله الرحمن الرحيم.

وسماها سفيان بن عيينة (بالواقية) وسماها يحيى بن أبى كثير (الكافية) لأنها تكفى عما عداها ولا يكفى ما سواها عنها كما جاء فى بعض الأحاديث المرسلة **«أم القرآن عوض من غيرها وليس غيرها عوض منها»** [(٥)] ويقال لها: سورة الصلاة والكنز، ذكرهما الزمخشرى فى كشافه.

وهى مكية قاله ابن عباس وقتادة وأبو العالية، وقيل: مدنية قاله أبو هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار والزهرى ويقال: نزلت مرتين: مرة بمكة ومرة بالمدينة، والأول أشبه لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [الحجر: ٨٧] والله تعالى أعلم.

---

(١) صحيح: الترمذي (٣١٢٤)، وأخرجه البخاري (٤٧٠٤)، أبو داود (١٤٥٧)، ولفظ أبي داود أقرب للفظ المصنف.

(٢) رواه مسلم (٣٩٥)، وأبو داود (٨٢١)، والترمذي (٢٩٥٣)، والنسائي (٩٠٩).

(٣) ضعيف: رواه بهذا اللفظ سعيد بن منصور (٢/ ٥٣٥)، برقم (١٧٨)، ومن طريقه، البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٥٠)، برقم (٢٣٦٨) من حديث أبي سعيد به وأما ما رواه الدارمي (٣٣٧٠) عن عبد الملك بن عمير مرسلاً، لفظه: «فاتحة الكتاب شفاء من كل داء». انظر ضعيف الجامع رقم (٣٩٥٠)

(٤) رواه البخاري (٢٢٧٦)، مسلم (٢٢٠١).

(٥) ضعيف: أخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٣٦٣)، برقم (٨٦٧)، والدارقطنى في سننه (١/ ٣٢٢)، برقم (٢٠) من حديث محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت به. في إسناده: محمد بن خلاد بن هلال الإسكندرانى، لا يدرى من هو، قاله الذهبي في ميزانه (٦/ ١٣٥)، ثم قال: انفرد بهذا الخبر من حديث عبادة بن الصامت مرفوعًا، وقال الدارقطني: تفرد به ابن خلاد، وإنما المحفوظ عن الزهرى بهذا السند: «لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن».

وحكى أبو الليث السمرقندى أن نصفها نزل بمكة ونصفها الآخر نزل بالمدينة وهو غريب جدًا، نقله القرطبى عنه وهى سبع آيات بلا خلاف، وقال عمرو بن عبيد: ثمان، وقال حسين الجعفى: ستة، وهذان القولان شاذان وإنما اختلفوا فى البسملة هل هى آية مستقلة من أولها كما هو عن جمهور قراء الكوفة وقول جماعة من الصحابة والتابعين وخلق من الخلف أو بعض آية أو لا تعد من أولها بالكلية كما هو قول أهل المدينة من القراء والفقهاء على ثلاثة أقوال كما سيأتى تقريرها فى موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

قالوا: وكلماتها خمس وعشرون كلمة وحروفها مائة وثلاثة عشر حرفًا.

قال البخارى فى أول كتاب التفسير وسميت (أم الكتاب) لأنه يبدأ بكتابتها فى المصاحف ويبدأ بقراءتها فى الصلاة، وقيل: إنما سميت بذلك لرجوع معانى القرآن كله إلى ما تضمنته.

قال ابن جرير: والعرب تسمى كل جامع أمر أو مقدم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه هو لها إمام جامع: أمًّا، فتقول للجلدة التى تجمع الدماغ أم الرأس ويسمون لواء الجيش ورايتهم التى يجتمعون تحتها أمًّا، واستشهد بقول ذى الرمة:

على رأسه أم لنا نقتدى بها ... جماع أمور ليس نعصى لها أمرًا

يعنى: الرمح

قال: وسميت مكة (أم القرى) لتقدمها أمام جميعها وجمعها ما سواها وقيل: لأن الأرض دحيت منها. ويقال لها أيضًا: (الفاتحة) لأنها تفتتح بها القراءة وافتتحت الصحابة بها كتابة المصحف الإمام وصح تسميتها بالسبع المثانى قالوا: لأنها تثنى فى الصلاة فتقرأ فى كل ركعة وإن كان للمثانى معنى آخر غير هذا كما سيأتى بيانه فى موضعه إن شاء الله تعالى.

قال الإمام أحمد [(١)]: حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا ابن أبى ذئب وهاشم بن هاشم عن ابن أبى ذئب عن المقبرى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال فى أم القرآن: **«هى أم القرآن وهى السبع المثانى وهى القرآن العظيم»** [(٢)] ثم رواه عن إسماعيل بن عمر عن ابن أبى ذئب به.

وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى [(٣)]: حدثنى يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب أخبرنى ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «هى أم القرآن وهى فاتحة الكتاب وهى السبع المثانى».

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه فى تفسيره: حدثنا أحمد بن محمد بن زياد حدثنا محمد بن غالب بن حرب، حدثنا إسحاق بن عبد الواحد الموصلى، حدثنا المعافى بن عمران عن عبد الحميد بن جعفر عن نوح بن أبى بلال عن المقبرى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ **«الحمد لله رب العالمين سبع آيات: بسم الله الرحمن الرحيم إحداهن، وهى السبع المثانى والقرآن العظيم، وهى أم الكتاب، وفاتحة الكتاب»**.

---

(١) صحيح: أحمد (٩٤٩٦).
(٢) صحيح: أحمد (٩٤٩٨).
(٣) صحيح: ابن جرير في تفسيره (١٤/٥٩).

وقد رواه الدارقطنى [١] أيضًا عن أبى هريرة مرفوعًا بنحوه أو مثله وقال كلهم ثقات. وروى البيهقى عن على وابن عباس وأبى هريرة أنهم فسروا قوله تعالى: ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [الحجر: ٨٧] بالفاتحة وأن البسملة هى الآية السابعة منها وسيأتى تمام هذا عند البسملة.

وقد روى الأعمش عن إبراهيم قال: قيل لابن مسعود: لِمَ لم تكتب الفاتحة فى مصحفك؟ فقال: لو كتبتها لكتبتها فى أول كل سورة، قال أبو بكر بن أبى داود يعنى حيث يقرأ فى الصلاة، قال: واكتفيت بحفظ المسلمين لها عن كتابتها.

وقد قيل: إن الفاتحة أول شىء أنزل من القرآن كما ورد فى حديث رواه البيهقى فى دلائل النبوة ونقله الباقلانى أحد أقوال ثلاثة وقيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١] كما فى حديث جابر فى الصحيح وقيل: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١] وهذا هو الصحيح كما سيأتى تقريره فى موضعه والله المستعان.

ذكر ما ورد فى فضل الفاتحة

قال الإمام أحمد بن محمد بن حنبل -رحمه الله تعالى- فى مسنده [٢] حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة حدثنى خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبى سعيد بن المعلى رضى الله عنه قال: كنت أصلى فدعانى رسول الله ﷺ فلم أجبه حتى صليت، فأتيته فقال: «ما منعك أن تأتينى؟» قال: قلت: يا رسول الله إنى كنت أصلى قال: ألم يقل الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] ثم قال: «لأعلمنك أعظم سورة فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد» قال: فأخذ بيدى فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت: يا رسول الله إنك قلت: لأعلمنك أعظم سورة فى القرآن قال: «نعم ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته».

وهكذا رواه البخارى [٣] عن مسدد وعلى بن المدينى، كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان به، ورواه [٤] فى موضع آخر من التفسير، وأبو داود والنسائى وابن ماجه [٥] من طرق عن شعبة به، ورواه الواقدى عن محمد بن معاذ الأنصارى عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبى سعيد بن المعلى عن أبى بن كعب فذكر نحوه.

وقد وقع فى الموطأ [٦] للإمام مالك بن أنس - رحمه الله - ما ينبغى التنبيه عليه فإنه رواه مالك عن

---

(١) صحيح: الدارقطنى فى سننه (١/ ٣١٢) برقم (٣٦). قال الحافظ فى التلخيص (١/ ٢٣٢): وصحح غير واحد من الأئمة وقفه على رفعه وأعله ابن القطان بهذا التردد، وتكلم فيه ابن الجوزى من أجل عبد الحميد بن جعفر، فإن فيه مقالاً، ولكن متابعة نوح له مما تقويه، وإن كان نوح وقفه، لكنه فى حكم المرفوع، إذ لا مدخل للاجتهاد فى عدد آى القرآن. اهـ.

(٢) صحيح: أحمد (١٧٣٩٥).

(٣) البخارى (٤٤٧٤، ٥٠٠٦).

(٤) البخارى (٤٦٤٧).

(٥) أبو داود (١٤٥٨)، النسائى (٩١٣)، ابن ماجه (٣٧٨٥).

(٦) صحيح: الموطأ (١٨٧).

العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقى أن أبا سعيد مولى ابن عامر بن كريز أخبرهم أن رسول الله ﷺ نادى أبى بن كعب وهو يصلى فى المسجد فلما فرغ من صلاته لحقه قال: فوضع النبى ﷺ يده على يدى وهو يريد أن يخرج من باب المسجد ثم قال ﷺ: **«إنى لأرجو أن لا تخرج من باب المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى القرآن مثلها»** قال أبى -رضى الله عنه-، فجعلت أبطئ فى المشى رجاء ذلك ثم قلت: يا رسول الله ما السورة التى وعدتنى؟ قال: «كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة؟ قال فقرأت عليه ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] حتى أتيت على آخرها، فقال رسول الله ﷺ **«هى هذه السورة وهى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أعطيت»**.

فأبو سعيد هذا ليس بأبى سعيد بن المعلى كما اعتقده ابن الأثير فى جامع الأصول ومن تبعه فإن ابن المعلى صحابى أنصارى وهذا تابعى من موالى خزاعة وذاك الحديث متصل صحيح، وهذا ظاهره منقطع إن لم يكن سمعه أبو سعيد هذا من أبى بن كعب فإن كان قد سمعه منه فهو على شرط مسلم والله أعلم.

على أنه قد روى عن أبى بن كعب من غير وجه كما قال الإمام أحمد [(١)]: حدثنا عفان حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم حدثنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله ﷺ على أبى بن كعب، وهو يصلى فقال: يا أبى، فالتفت ثم لم يجبه، ثم قال: أبى، فخفف ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك أى رسول الله فقال: وعليك السلام ما منعك -أى أبى- إذ دعوتك أن تجيبنى، فقال أى رسول الله إنى كنت فى الصلاة قال: أولست تجد فيما أوحى الله تعالى إلى ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] قال بلى يا رسول الله لا أعود قال: **«أتحب أن أعلمك سورة لم تنزل لا فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها؟»** قلت: نعم أى رسول الله، قال رسول الله ﷺ: **«إنى لأرجو أن لا أخرج من هذا الباب حتى تعلمها»**، قال: فأخذ رسول الله ﷺ بيدى يحدثنى وأنا أتبطأ مخافة أن يبلغ قبل أن يقضى الحديث، فلما دنونا من الباب قلت: أى رسول الله ما السورة التى وعدتنى؟ قال ما تقرأ فى الصلاة؟ قال فقرأت عليه أم القرآن قال: والذى نفسى بيده ما أنزل الله فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها إنها السبع المثانى.

ورواه الترمذى [(٢)] عن قتيبة عن الدراوردى عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة - رضى الله عنه - فذكره وعنده «إنها من السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أعطيته» ثم قال: هذا حديث حسن صحيح، وفى الباب عن أنس بن مالك.

ورواه عبد الله بن الإمام أحمد [(٣)] عن إسماعيل أبى معمر عن أبى أسامة عن عبد الحميد بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة عن أبى بن كعب، فذكره مطولاً بنحوه أو قريبًا منه. وقد رواه الترمذى والنسائى [(٤)] جميعًا عن أبى عمار حسين بن حريث عن الفضل بن موسى عن عبد الحميد بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما أنزل الله فى**

(١) صحيح: أحمد (٩٠٨١).
(٢) صحيح: الترمذي (٢٨٧٥).
(٣) أحمد (٢٠٥٩٢).
(٤) صحيح: الترمذي (٣١٢٥)، النسائي (٩١٤).

التوراة ولا فى الإنجيل مثل أم القرآن، وهى السبع المثانى وهى مقسومة بينى وبين عبدى نصفين» .

هذا لفظ النسائى وقال الترمذى: حديث حسن غريب. وقال الإمام أحمد [١]: حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا هاشم يعنى ابن البريد، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن جابر قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وقد أهراق الماء فقلت: السلام عليك يا رسول الله فلم يرد على، قال فقلت: السلام عليك يا رسول الله فلم يرد على، قال: فقلت: السلام عليك يا رسول الله فلم يرد على، قال: فانطلق رسول الله ﷺ يمشى وأنا خلفه حتى دخل رحله ودخلت أنا المسجد فجلست كئيبًا حزينًا فخرج على رسول الله ﷺ وقد تطهر فقال: عليك السلام ورحمة الله وعليك السلام ورحمة الله وعليك السلام ورحمة الله ثم قال: «ألا أخبرك يا عبد الله بن جابر بأخيَر سورة فى القرآن» قلت: بلى يا رسول الله، قال «اقرأ الحمد لله رب العالمين حتى تختمها» .

هذا إسناد جيد، وابن عقيل هذا يحتج به الأئمة الكبار وعبد الله بن جابر هذا هو الصحابى ذكر ابن الجوزى أنه هو العبدى والله أعلم، ويقال: إنه عبد الله بن جابر الأنصارى البياضى فيما ذكره الحافظ ابن عساكر واستدلوا بهذا الحديث وأمثاله على تفاضل بعض الآيات والسور على بعض كما هو المحكى عن كثير من العلماء، منهم إسحاق بن راهويه وأبو بكر بن العربى وابن الحصار من المالكية، وذهبت طائفة أخرى إلى أنه لا تفاضل فى ذلك لأن الجميع كلام الله، ولئلا يوهم التفضيل نقص المفضل عليه، وإن كان الجميع فاضلاً، نقله القرطبى عن الأشعرى وأبى بكر الباقلانى وأبى حاتم بن حبان البستى ويحيى بن يحيى ورواية عن الإمام مالك أيضًا.

حديث آخر: قال البخارى [٢] فى فضائل القرآن: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا وهب حدثنا هشام عن محمد عن معبد عن أبى سعيد الخدرى، قال: كنا فى مسير لنا فنزلنا فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحى سليم وإن نفرنا غيب فهل منكم راق؟ فقام معها رجل ما كنا نأبنه برقية فرقاه فبرأ، فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبنًا. فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية أو كنت ترقى؟ فقال: لا ما رقيت إلا بأم الكتاب قلنا: لا تحدثوا شيئًا حتى نأتى -أونسأل- رسول الله ﷺ ، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبى ﷺ فقال: «وما كان يدريه أنها رقية اقسموا واضربوا لى بسهم» .

وقال أبو معمر: حدثنا عبد الوارث، حدثنا هشام، حدثنا محمد بن سيرين حدثنى معبد بن سيرين عن أبى سعيد الخدرى بهذا.

وهكذا رواه مسلم وأبو داود [٣] من رواية هشام وهو ابن حسان عن ابن سيرين به.

وفى بعض روايات مسلم لهذا الحديث أن أبا سعيد الخدرى هو الذى رقى ذلك السليم يعنى اللديغ يسمونه بذلك تفاؤلاً.

حديث آخر: روى مسلم فى صحيحه والنسائى [٤] فى سننه من حديث أبى الأحوص سلام بن

---

(١) حسن: أحمد (١٧١٤٤). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٣١٠): وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو سيء الحفظ، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات ا.هـ.

(٢) البخاري (٥٠٠٧).

(٣) مسلم (٢٢٠١)، وأبو داود (٣٤١٨).

(٤) مسلم (٨٠٦)، النسائي (٩١٢).

سليم عن عمار بن زُرَيْق عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: بينا رسول الله ﷺ وعنده جبرائيل، إذ سمع نقيضًا فوقه فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط، قال: فنزل منه ملك فأتى النبى ﷺ فقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لم تقرأ حرفًا منهما إلا أوتيته، وهذا لفظ النسائى. ولمسلم نحوه.

حديث آخر: قال مسلم [١]: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلى -هو ابن راهويه- حدثنا سفيان بن عيينة عن العلاء، يعنى ابن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقى عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج ثلاثًا غير تمام**» فقيل لأبى هريرة إنا نكون وراء الإمام، فقال: اقرأ بها فى نفسك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عز وجل: «قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال الله حمدنى عبدى، وإذا قال ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال الله أثنى على عبدى، فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال الله: مجدنى عبدى، وقال مرة: فوض إلى عبدى، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال الله: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل».

هكذا رواه النسائى [٢] عن إسحاق بن راهويه.

وقد رواه [٣] أيضًا عن قتيبة عن مالك عن العلاء، عن أبى السائب مولى هشام بن زهرة عن أبى هريرة به، وفى هذا السياق «فنصفها لى ونصفها لعبدى، ولعبدى ما سأل».

وهكذا رواه ابن إسحاق عن العلاء.

وقد رواه مسلم [٤] من حديث ابن جريج عن العلاء عن أبى السائب هكذا.

ورواه أيضًا من حديث ابن أبى أويس عن العلاء عن أبيه وأبى السائب، كلاهما عن أبى هريرة.

وقال الترمذى [٥]: هذا حديث حسن. وسألت أبا زرعة عنه فقال: كلا الحديثين صحيح من قال: عن العلاء عن أبيه وعن العلاء عن أبى السائب.

وقد روى هذا الحديث عبد الله بن الإمام أحمد من حديث العلاء عن أبيه عن أبى هريرة عن أبى بن كعب مطولاً.

وقال ابن جرير [٦]: حدثنا صالح بن مسمار المروزى حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عنبسة بن سعيد عن مطرف بن طريف عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين وله ما سأل فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: حمدنى عبدى وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال: أثنى على عبدى، ثم قال: «هذا لى وله ما بقى»، وهذا غريب من هذا الوجه.

---

(١) مسلم (٣٩٥).
(٢) النسائي (٥/ ١٢)، برقم (٨٠١٣).
(٣) مسلم (٣٩٥)، النسائي (٩٠٩).
(٤) مسلم (٣٩٥).
(٥) الترمذي في سننه (٢٩٥٣).
(٦) صحيح: ابن جرير في تفسيره (١/ ٨٦).

الكلام على ما يتعلق بهذا الحديث مما يختص بالفاتحة من وجوه:

(أحدها): أنه قد أطلق فيه لفظ الصلاة، والمراد القراءة كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] أي بقراءتك كما جاء مصرحًا به في الحديث الصحيح [١] عن ابن عباس، وهكذا قال في هذا الحديث: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل» ثم بين تفصيل هذه القسمة في قراءة الفاتحة فدل على عظمة القراءة في الصلاة، وأنها من أكبر أركانها إذ أطلقت العبادة وأريد بها جزء واحد منها وهو القراءة كما أطلق لفظ القراءة والمراد به الصلاة في قوله: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] والمراد صلاة الفجر كما جاء مصرحًا به في الصحيحين [٢]: من أنه يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار فدل هذا كله على أنه لا بد من القراءة في الصلاة وهو اتفاق من العلماء، ولكن اختلفوا في مسألة نذكرها في الوجه الثاني، وذلك أنه هل يتعين للقراءة في الصلاة فاتحة الكتاب أم تجزئ هي أو غيرها؟ على قولين مشهورين.

فعند أبي حنيفة ومن وافقه من أصحابه وغيرهم، أنها لا تتعين بل مهما قرأ به من القرآن أجزأه في الصلاة واحتجوا بعموم قوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠] وبما ثبت في الصحيحين [٣] من حديث أبي هريرة في قصة المسيء في صلاته أن رسول الله ﷺ قال له: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسّر معك من القرآن» قالوا فأمره بقراءة ما تيسر ولم يعين له الفاتحة ولا غيرها فدل على ما قلنا.

(والقول الثاني) أنه يتعين قراءة الفاتحة في الصلاة ولا تجزئ الصلاة بدونها، وهو قول بقية الأئمة مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهم وجمهور العلماء، واحتجوا على ذلك بهذا الحديث المذكور حيث قال صلوات الله وسلامه عليه: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج» [٤] والخداج هو الناقص كما فسر في الحديث «غير تمام» واحتجوا أيضًا بما ثبت في الصحيحين [٥] من حديث الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وفي صحيح ابن خزيمة وابن حبان [٦] عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن» والأحاديث في هذا الباب كثيرة ووجه المناظرة ههنا يطول ذكره وقد أشرنا إلى مأخذهم في ذلك رحمهم الله. ثم إن مذهب الشافعي وجماعة من أهل العلم أنه تجب قراءتها في كل ركعة.

وقال آخرون: إنما تجب قراءتها في معظم الركعات. وقال الحسن وأكثر البصريين: إنما تجب قراءتها في ركعة واحدة من الصلوات أخذًا بمطلق الحديث «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وقال

---

(١) البخاري (٧٤٩٠)، مسلم (٤٤٦).
(٢) البخاري (٥٥٥)، مسلم (٦٣٢)، من حديث أبي هريرة.
(٣) البخاري (٧٥٧)، مسلم (٣٩٧).
(٤) أخرجه مسلم (٣٩٥) من حديث أبي هريرة.
(٥) البخاري (٧٥٦)، مسلم (٣٩٤).
(٦) صحيح: ابن خزيمة (١/ ٢٤٨)، برقم (٤٩٠)، ابن حبان (٥/ ٩١) برقم (١٧٨٩).

أبو حنيفة وأصحابه والثورى والأوزاعى: لا تتعين قراءتها بل لو قرأ بغيرها أجزأه لقوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [المزمل: ٢٠] كما تقدم، والله أعلم.

وقد روى ابن ماجه[١] من حديث أبى سفيان السعدى عن أبى نضرة عن أبى سعيد مرفوعًا «لا صلاة لمن لم يقرأ فى كل ركعة بالحمد وسورة فى فريضة أو غيرها» وفى صحة هذا نظر وموضع تحرير هذا كله فى كتاب الأحكام الكبير والله أعلم.

(والوجه الثالث) هل تجب قراءة الفاتحة على المأموم؟ فيه ثلاثة أقوال للعلماء:

(أحدها) أنه تجب عليه قراءتها كما تجب على إمامه لعموم الأحاديث المتقدمة.

(والثانى) لا تجب على المأموم قراءة بالكلية لا الفاتحة ولا غيرها لا فى الصلاة الجهرية ولا السرية، لما رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده[٢] عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ أنه قال: «**من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة**» ولكن فى إسناده ضعف. ورواه مالك عن وهب بن كيسان عن جابر من كلامه.

وقد روى هذا الحديث من طرق ولا يصح شىء منها عن النبى ﷺ والله أعلم.

(والقول الثالث) أنه تجب القراءة على المأموم فى السرية لما تقدم، ولا تجب فى الجهرية لما ثبت فى صحيح مسلم[٣] عن أبى موسى الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ «**إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا، وإذا قرأ فأنصتوا**» وذكر بقية الحديث.

وكذا رواه أهل السنن أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه[٤] عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «وإذا قرأ فأنصتوا» وقد صححه مسلم بن الحجاج أيضًا، فدل هذان الحديثان على صحة هذا القول وهو قول قديم للشافعى رحمه الله. ورواية عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى - والغرض من ذكر هذه المسائل ههنا بيان اختصاص سورة الفاتحة بأحكام لا تتعلق بغيرها من السور، والله أعلم.

وقال الحافظ أبو بكر البزار[٥] حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى حدثنا غسان بن عبيد عن أبى عمران الجونى عن أنس -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ «**إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقد أمنت من كل شىء إلا الموت**».

---

(١) ضعيف الإسناد: ابن ماجه (٨٣٩). في إسناده: «أبو سفيان السعدى»، اسمه «طريف بن شهاب»، أجمعوا على تضعيفه، لكن لم ينفرد ابن ماجه بإخراج هذا الحديث عن أبى سفيان، فقد تابع أبا سفيان على روايته لهذا الحديث قتادة، كما رواه أبو داود في سننه. انظر: مصباح الزجاجة (١/ ١٠٥).

(٢) ضعيف: أحمد (١٤٢٣٣) في إسناده: جابر بن يزيد الجعفى متهم، ضعيف الحديث، مذموم المذهب، لا يحتج بمثله، وله طرق عن جماعة من الصحابة وكلها معلولة، انظر التمهيد لابن عبد البر (١١/ ٤٨)، والتلخيص الحبير (١/ ٢٣٢).

(٣) مسلم (٤٠٤).

(٤) أبو داود (٦٠٣)، النسائي (٩٢١)، ابن ماجه (٨٤٦).

(٥) ضعيف: البزار في مسنده (٣١٠٩ كشف) قال الهيثمى في المجمع (١٠/ ١٢١): رواه البزار، وفيه: غسان بن عبيد، وهو ضعيف، ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح. وانظر: الترغيب والترهيب (١/ ٢٣٥).

الكلام على تفسير الاستعاذة وأحكامها

قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٩٩-٢٠٠] وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٦-٩٨] وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٦].

فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة فى معناها وهو أن الله تعالى يأمر بمصانعة العدو الإنسى والإحسان إليه ليرده عنه طبعه الطيب الأصل إلى الموالاة والمصافاة، ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطانى لا محالة إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانًا ولا يبتغى غير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل كما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦] وقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠] وقد أقسم للوالد آدم عليه السلام أنه له لمن الناصحين وكذب فكيف معاملته لنا وقد قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣] وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٨-١٠٠].

قالت طائفة من القراء وغيرهم: يتعوذ بعد القراءة واعتمدوا على ظاهر سياق الآية ولدفع الإعجاب بعد فراغ العبادة، وممن ذهب إلى ذلك حمزة فيما نقله عنه ابن قلوقا عنه وأبو حاتم السجستانى حكى ذلك أبو القاسم يوسف بن على بن جبارة الهذلى المغربى فى كتابه الكامل: وروى عن أبى هريرة أيضًا وهو غريب، ونقله محمد بن عمر الرازى فى تفسيره عن ابن سيرين فى رواية عنه قال: وهو قول إبراهيم النخعى وداود بن على الأصبهانى الظاهرى.

وحكى القرطبى عن أبى بكر بن العربى عن المجموعة عن مالك -رحمه الله-: أن القارئ يتعوذ بعد الفاتحة، واستغربه ابن العربى. وحكى قولاً ثالثًا وهو الاستعاذة أولاً وآخرًا جمعًا بين الدليلين، نقله الرازى. والمشهور الذى عليه الجمهور أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة لدفع الوساوس فيها ومعنى الآية عندهم ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٩] أى إذا أردت القراءة كقوله تعالى ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ الآية [المائدة: ٦] أى: إذا أردتم القيام، والدليل على ذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ بذلك.

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله [1]: حدثنا محمد بن الحسن بن أتش حدثنا جعفر بن سليمان عن على بن على الرفاعى اليشكرى عن أبى المتوكل الناجى عن أبى سعيد الخدرى قال: كان

---

(١) صحيح: أحمد في مسنده (١١٠٨١).

رسول الله ﷺ إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال: «**سبحانك اللّهم وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جدك، ولا إله غيرك ويقول لا إله إلا الله ثلاثًا - ثم يقول - أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ويقول الله أكبر ثلاثًا، ثم يقول: أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، من همزه ونفحه ونفثه**» وقد رواه أهل السنن الأربعة [١] من رواية جعفر بن سليمان عن على بن على وهو الرفاعى، وقال الترمذى: هو أشهر حديث فى هذا الباب، وقد فسر الهمز بالموتة وهى الخنق، والنفخ بالكبر والنفث بالشعر، كما رواه أبو داود وابن ماجه [٢] من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن عاصم العنزى عن نافع بن جبير بن المطعم عن أبيه قال: رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم حين دخل فى الصلاة قال: «**الله أكبر كبيرًا ثلاثًا، الحمد لله كثيرًا ثلاثًا، سبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثًا، اللّهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه**» قال عمرو: همزه الموتة ونفخه الكبر ونفثه الشعر، وقال ابن ماجه [٣]: حدثنا على بن المنذر حدثنا ابن فضيل حدثنا عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى عن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال: «**اللّهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه**».

قال همزه الموتة ونفخه الكبر ونفثه الشعر، وقال الإمام أحمد [٤]: حدثنا إسحاق بن يوسف، حدثنا شريك عن يعلى بن عطاء عن رجل حدثه أنه سمع أبا أمامة الباهلى يقول: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة كبر ثلاثًا ثم قال: «**لا إله إلا الله ثلاث مرات، وسبحان الله وبحمده ثلاث مرات**» ثم قال: «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه**».

وقال الحافظ أبو يعلى أحمد بن على بن المثنى الموصلى فى مسنده، حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان الكوفى، حدثنا على بن هاشم بن البريد عن يزيد بن زياد عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبى بن كعب -رضى الله عنه- قال: تلاحى رجلان عند النبى ﷺ فتمزع أنف أحدهما غضبًا فقال رسول الله ﷺ «**إنى لأعلم شيئًا لو قاله لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**». وكذا رواه النسائى [٥] فى اليوم والليلة عن يوسف بن عيسى المروزى عن الفضل بن موسى عن يزيد بن زياد بن أبى الجعد، به.

وقد روى هذا الحديث أحمد بن حنبل [٦] عن أبى سعيد عن زائدة وأبو داود [٧] عن يوسف بن موسى عن جرير بن عبد الحميد والترمذى والنسائى [٨] فى اليوم والليلة عن بندار عن ابن مهدى عن الثورى والنسائى [٩] أيضًا من حديث زائدة بن قدامة ثلاثتهم عن عبد الملك بن عمير عن

---

(١) **صحيح**: أبو داود (٧٧٥)، الترمذي (٢٤٢)، النسائي (٨٩٩)، ابن ماجه (٨٠٤).
(٢) **حسن**: أبو داود (٧٦٤)، ابن ماجه (٨٠٧).
(٣) **حسن**: ابن ماجه (٨٠٨).
(٤) **ضعيف الإسناد**: أحمد (٢١٦٧٥) في إسناده: رجل لم يسم.
(٥) **صحيح**: النسائي (١/ ٣٠٦) برقم (٣٩١).
(٦) **صحيح**: أحمد (٢١٥٨١).
(٧) **صحيح**: أبو داود (٤٧٨٠).
(٨) **صحيح**: الترمذي (٣٤٥٢).
(٩) **صحيح**: النسائي في عمل اليوم والليلة (١/ ٣٠٦) برقم (٣٩٠).

عبد الرحمن بن أبى ليلى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: استب رجلان عند النبى ﷺ فغضب أحدهما غضبًا شديدًا حتى يخيل إلى أن أحدهما يتمزع أنفه من شدة غضبه فقال النبى ﷺ «**إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد من الغضب**» فقال: ما هى يا رسول الله، قال يقول: «**اللَّهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم**» قال: فجعل معاذ يأمره فأبى وجعل يزداد غضبًا وهذا لفظ أبى داود، وقال الترمذى: مرسل يعنى أن عبد الرحمن بن أبى ليلى لم يلق معاذ بن جبل فإنه مات قبل سنة عشرين.

(**قُلْتُ**) وقد يكون عبد الرحمن بن أبى ليلى سمعه من أبى بن كعب كما تقدم وبلغه عن معاذ بن جبل فإن هذه القصة شهدها غير واحد من الصحابة رضى الله عنهم.

قال البخارى[1]: حدثنا عثمان بن أبى شيبة، حدثنا جرير عن الأعمش عن عدى بن ثابت قال: قال سليمان بن صرد -رضى الله عنه-. استب رجلان عند النبى ﷺ ونحن عنده جلوس فأحدهما يسب صاحبه مغضبًا قد احمر وجهه فقال النبى ﷺ «**إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**» فقالوا للرجل ألا تسمع ما يقول رسول الله ﷺ؟ قال: إنى لست بمجنون.

وقد رواه أيضًا مع مسلم وأبى داود والنسائى[2] من طرق متعددة عن الأعمش به. وقد جاء فى الاستعاذة أحاديث كثيرة يطول ذكرها هاهنا وموطنها كتاب الأذكار وفضائل الأعمال والله أعلم.

وقد روى أن جبريل عليه السلام أول ما نزل بالقرآن على رسول الله ﷺ أمره بالاستعاذة كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير[3].

حدثنا أبو كريب، حدثنا عثمان بن سعيد، حدثنا بشر بن عمارة، حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال: أول ما نزل جبريل على محمد ﷺ قال: «يا محمد استعذ» قال: «أستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» ثم قال: «قل: بسم الله الرحمن الرحيم» ثم قال ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] قال عبد الله: وهى أول سورة أنزلها الله على محمد ﷺ بلسان جبريل. وهذا الأثر غريب وإنما ذكرناه ليعرف فإن فى إسناده ضعفًا وانقطاعًا والله أعلم.

مسألة:

وجمهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة ليست بمتحتمة يأثم تاركها وحكى الرازى عن عطاء بن أبى رباح وجوبها فى الصلاة وخارجها كلما أراد القراءة قال: وقال ابن سيرين: إذا تعوذ مرة واحدة فى عمره فقد كفى فى إسقاط الوجوب واحتج الرازى لعطاء بظاهر الآية ﴿فَاسْتَعِذْ﴾ وهو أمر ظاهره الوجوب وبمواظبة النبى ﷺ عليها ولأنها تدرأ شر الشيطان وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ولأن الاستعاذة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب.

وقال بعضهم: كانت واجبة على النبى ﷺ دون أمته، وحكى عن مالك أنه لا يتعوذ فى المكتوبة ويتعوذ لقيام رمضان فى أول ليلة منه.

(١) البخاري (٦١١٥).

(٢) البخاري (٦٠٤٨)، مسلم (٢٦١٠)، أبو داود (٤٧٨١)، النسائي في الكبرى (٦/ ١٠٤)، برقم (١٠٢٢٤).

(٣) ضعيف: ابن جرير في تفسيره (١/ ٥٠). في إسناده: «بشر بن عمارة» ضعيف.

مسألة:

وقال الشافعى فى الإملاء: يجهر بالتعوذ وإن أسر فلا يضر وقال فى الأم بالتخيير لأنه أسر ابن عمر وجهر أبو هريرة واختلف قول الشافعى فيما عدا الركعة الأولى هل يستحب التعوذ فيها على قولين ورجح عدم الاستحباب، والله أعلم.

فإذا قال المستعيذ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كفى ذلك عند الشافعى وأبى حنيفة وزاد بعضهم: أعوذ بالله السميع العليم وقال آخرون بل يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم قاله الثورى والأوزاعى وحكى عن بعضهم أنه يقول: أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم لمطابقة أمر الآية ولحديث الضحاك عن ابن عباس المذكور والأحاديث الصحيحة كما تقدم أولى بالاتباع من هذا والله أعلم.

مسألة:

ثم الاستعاذة فى الصلاة إنما هى للتلاوة وهو قول أبى حنيفة ومحمد. وقال أبو يوسف بل للصلاة فعلى هذا يتعوذ المأموم وإن كان لا يقرأ ويتعوذ فى العيد بعد الإحرام وقبل تكبيرات العيد والجمهور بعدها قبل القراءة، ومن لطائف الاستعاذة أنها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث وتطيب له وتهيؤ لتلاوة كلام الله وهى استعانة بالله واعتراف له بالقدرة وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطنى الذى لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذى خلقه ولا يقبل مصانعة ولا يدارى بالإحسان بخلاف العدو من نوع الإنسان كما دلت على ذلك آيات من القرآن فى ثلاث من المثانى وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾[الإسراء: ٦٥] وقد نزلت الملائكة لمقاتلة العدو البشرى فمن قتله العدو الظاهر البشرى كان شهيدًا، ومن قتله العدو الباطنى كان طريدًا، ومن غلبه العدو الظاهرى كان مأجورًا، ومن قهره العدو الباطنى كان مفتونًا أو موزورًا، ولما كان الشيطان يرى الإنسان من حيث لا يراه استعاذ منه بالذى يراه ولا يراه الشيطان.

فصل: والاستعاذة هى الالتجاء إلى الله تعالى والالتصاق بجنابه من شر كل ذى شر والعياذة تكون لدفع الشر واللياذ يكون لطلب جلب الخير كما قال المتنبى:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به ممن أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ... ولا يهيضون عظمًا أنت جابره

ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أى أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرنى فى دينى أو دنياى أو يصدنى عن فعل ما أمرت به، أو يحثنى على فعل ما نهيت عنه فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله ولهذا أمر تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل لأنه شرير بالطبع ولا يكفه عنك إلا الذى خلقه وهذا المعنى فى ثلاث آيات من القرآن لا أعلم لهن رابعة قوله فى الأعراف: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[الأعراف: ١٩٩] فهذا فيما يتعلق بمعاملة الأعداء من البشر ثم قال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأعراف: ٢٠٠] وقال

تعالى فى سورة قد أفلح المؤمنون: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[المؤمنون: ٩٦-٩٨] وقال تعالى فى سورة حم السجدة: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[فصلت: ٣٤-٣٦].

الشيطان فى لغة العرب مشتق من شطن إذا بعد فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر وبعيد بفسقه عن كل خير وقيل مشتق من شاط لأنه مخلوق من نار ومنهم من يقول: كلاهما صحيح فى المعنى ولكن الأول أصح وعليه يدل كلام العرب قال أمية بن أبى الصلت فى ذكر ما أوتى سليمان عليه السلام:

أيما شاطن عصاه عكاه ثم يلقى فى السجن والأغلال

فقال: أيما شاطن ولم يقل أيما شائط وقال النابغة الذبيانى وهو زياد بن عمرو بن معاوية بن جابر بن ضباب بن يربوع بن مرة بن سعد بن ذبيان:

نأت بسعاد عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بها رهين

يقول بعدت بها طريقة بعيد وقال سيبويه: العرب تقول: تشيطن فلان إذا فعل فعل الشياطين ولو كان من شاط لقالوا: تشيط فالشيطان مشتق من البعد على الصحيح ولهذا يسمون كل ما تمرد من جنى وإنسى وحيوان شيطانًا قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾[الأنعام: ١١٢] وفى مسند الإمام أحمد[1] عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن» فقلت: أوَ للإنس شياطين؟ قال «نعم» وفى صحيح مسلم[2] عن أبى ذر أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ «يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب الأسود» فقلت يا رسول الله ما بال الكلب الأسود من الأحمر الأصفر؟ فقال: «الكلب الأسود شيطان» وقال ابن وهب أخبرنى هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ركب برذونًا فجعل يتبختر به فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبخترًا فنزل عنه وقال: ما حملتونى إلا على شيطان ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسى إسناده صحيح.

والرجيم فعيل بمعنى مفعول أى إنه مرجوم مطرود عن الخير كله كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾[الملك: ٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[الصافات: ٦-١٠] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾[الحجر: ١٦-١٨] إلى غير ذلك من الآيات.

وقيل: رجيم بمعنى راجم لأنه يرجم الناس بالوساوس والربائث والأول أشهر وأصح.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

افتتح بها الصحابة كتاب الله واتفق العلماء على أنها بعض آية من سورة النمل ثم اختلفوا هل هى آية

(١) حسن: أحمد (٢١٠٣٦).
(٢) مسلم (٥١٠).

مستقلة فى أول كل سورة أو من أول كل سورة كتبت فى أولها أو أنها بعض آية من أول كل سورة أو أنها كذلك فى الفاتحة دون غيرها أو أنها إنما كتبت للفصل لا أنها آية على أقوال للعلماء سلفًا وخلفًا وذلك مبسوط فى غير هذا الموضع.

وفى سنن أبى داود [١] بإسناد صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ وأخرجه الحاكم أبو عبد الله النيسابورى فى مستدركه [٢] أيضًا وروى مرسلاً عن سعيد بن جبير.

وفى صحيح ابن خزيمة [٣] عن أم سلمة -رضى الله عنها- أن رسول الله ﷺ قرأ البسملة فى أول الفاتحة فى الصلاة وعدها آية لكنه من رواية عمر بن هارون البلخى وفيه ضعف عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة عنها.

وروى له الدارقطنى [٤] متابعًا عن أبى هريرة مرفوعًا وروى مثله عن على [٥] وابن عباس [٦] وغيرهما، وممن حكى عنه أنها آية من كل سورة إلا براءة: ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو هريرة وعلى ومن التابعين عطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومكحول والزهرى وبه يقول عبد الله بن المبارك والشافعى وأحمد بن حنبل فى رواية عنه وإسحاق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام رحمهم الله.

وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابهما: ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور.

وقال الشافعى فى قول فى بعض طرق مذهبه: هى آية من الفاتحة وليس من غيرها وعنه أنها بعض آية من أول كل سورة وهما غريبان.

وقال داود هى آية مستقلة فى أول كل سورة لا منها، وهذا رواية عن الإمام أحمد بن حنبل وحكاه أبو بكر الرازى عن أبى الحسن الكرخى، وهما من أكابر أصحاب أبى حنيفة رحمهم الله. هذا ما يتعلق بكونها آية من الفاتحة أم لا.

فأما ما يتعلق بالجهر بها فَمُفَرَّعٌ على هذا، فمن رأى أنها ليست من الفاتحة فلا يجهر بها وكذا من قال إنها آية من أولها، وأما من قال بأنها من أوائل السور فاختلفوا فذهب الشافعى رحمه الله إلى أنه يجهر بها مع الفاتحة والسورة وهو مذهب طوائف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين سلفًا وخلفًا فجهر بها من الصحابة أبو هريرة وابن عمر وابن عباس ومعاوية وحكاه ابن عبد البر والبيهقى عن عمر وعلى ونقله الخطيب عن الخلفاء الأربعة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وهو غريب، ومن التابعين عن سعيد بن جبير وعكرمة وأبى قلابة والزهرى وعلى بن الحسين وابنه محمد وسعيد بن المسيب وعطاء وطاوس ومجاهد وسالم ومحمد بن كعب القرظى ومحمد بن عبيد وأبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وأبى وائل وابن سيرين ومحمد بن المنكدر وعلى بن عبد الله بن عباس وابنه محمد ونافع مولى ابن عمر وزيد بن أسلم وعمر بن عبد العزيز والأزرق بن قيس وحبيب بن أبى ثابت وأبى

---

(١) صحيح: أبو داود (٧٨٨).
(٢) الحاكم (١/ ٣٥٦) برقم (٨٤٦).
(٣) ابن خزيمة (١/ ٢٤٨) برقم (٤٩٣).
(٤) صحيح: الدارقطني في سننه (١/ ٣٠٦) برقم (١٧). انظر: تحفة المحتاج لابن الملقن (١/ ٢٩٢).
(٥) الدارقطني (١/ ٣٠٢) برقم (١، ٢، ٣).
(٦) الدارقطني (١/ ٣٠٣) برقم (٦، ٧).

الشعثاء ومكحول وعبد الله بن معقل بن مقرن زاد البيهقى وعبد الله بن صفوان ومحمد ابن الحنفية زاد ابن عبد البر وعمرو بن دينار.

والحجة فى ذلك أنها بعض الفاتحة فيجهر بها كسائر أبعاضها وأيضًا فقد روى النسائى فى سننه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم فى مستدركه[١] عن أبى هريرة أنه صلى فجهر فى قراءته بالبسملة وقال بعد أن فرغ: إنى لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ. وصححه الدارقطنى والخطيب والبيهقى وغيرهم وروى أبو داود والترمذى[٢] عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم ثم قال الترمذى: وليس إسناده بذاك.

وقد رواه الحاكم فى مستدركه[٣] عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ثم قال صحيح، وفى صحيح البخارى[٤] عن أنس بن مالك أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كانت قراءته مدًّا ثم قرأ ببسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم.

وفى مسند الإمام أحمد وسنن أبى داود وصحيح ابن خزيمة ومستدرك الحاكم[٥] عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ١-٤] وقال الدارقطنى إسناده صحيح. وروى الإمام أبو عبد الله الشافعى -رحمه الله- والحاكم فى مستدركه[٦] عن أنس: أن معاوية صلى بالمدينة فترك البسملة فأنكر عليه من حضره من المهاجرين ذلك فلما صلى المرة الثانية بسمل.

وفى هذه الأحاديث والآثار التى أوردناها كفاية ومقنع فى الاحتجاج لهذا القول عما عداها. فأما المعارضات والروايات الغريبة وتطريقها وتعليلها وتضعيفها وتقريرها فله موضع آخر.

وذهب آخرون إلى أنه لا يجهر بالبسملة فى الصلاة وهذا هو الثابت عن الخلفاء الأربعة وعبد الله بن مغفل وطوائف من سلف التابعين والخلف وهو مذهب أبى حنيفة والثورى وأحمد بن حنبل. وعند الإمام مالك أنه لا يقرأ البسملة بالكلية لا جهرًا ولا سرًّا واحتجوا بما فى صحيح مسلم[٧] عن عائشة -رضى الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وبما فى الصحيحين[٨] عن أنس بن مالك قال: صليت خلف النبى ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين، ولمسلم[٩]: ولا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم فى أول قراءة ولا فى آخرها، ونحوه فى السنن[١٠] عن عبد الله بن مغفل -رضى الله عنه-.

---

(١) صحيح: النسائي(٩٠٥)، ابن خزيمة (١/ ٢٥١) برقم (٤٩٩)، ابن حبان (٥/ ١٠٠)، برقم (١٧٩٧)، الحاكم (١/ ٣٥٧)، برقم (٨٤٩).

(٢) ضعيف الإسناد: الترمذي (٢٤٥)، انظر: التخليص الحبير (١/ ٢٣٤).

(٣) الحاكم (١/ ٣٥٧)، برقم (٨٤٩).

(٤) البخاري (٥٠٤٦).

(٥) صحيح: أحمد (٢٦٠٤٣)، أبو داود (٤٠٠١)، ابن خزيمة (١/ ٢٤٨)، برقم (٤٩٣)، الحاكم (٢/ ٢٥٢)، برقم (٢٩٠٩).

(٦) الحاكم (١/ ٣٥٧) برقم (٨٥١).

(٧) مسلم (٤٩٨).

(٨) البخاري (٧٤٣)، مسلم (٣٩٩).

(٩) مسلم (٣٩٩).

(١٠) رواه الترمذي (٢٤٤)، النسائي (٩٠٨)، ابن ماجه (٨١٥).

فهذه مآخذ الأئمة -رحمهم الله- فى هذه المسألة وهى قريبة لأنهم أجمعوا على صحة من جهر بالبسملة ومن أسر ولله الحمد والمنة.

فصل فى فضلها: قال الإمام العالم الحبر العابد أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم رحمه الله فى تفسيره: حدثنا أبى حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا زيد بن المبارك الصنعانى حدثنا سلام بن وهب الجندى حدثنا أبى عن طاوس عن ابن عباس أن عثمان بن عفان سأل رسول الله ﷺ عن: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: «**هو اسم من أسماء الله وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العينين وبياضهما من القرب**».

وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه عن سليمان بن أحمد عن على بن المبارك عن زيد بن المبارك به.

وقد روى الحافظ ابن مردويه من طريقين عن إسماعيل بن عياش عن إسماعيل بن يحيى عن مسعر عن عطية عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن عيسى ابن مريم عليه السلام أسلمته أمه إلى الكتّاب ليعلمه، فقال له المعلم: اكتب فقال، ما أكتب؟ قال بسم الله، قال له عيسى: وما بسم الله؟ قال المعلم، ما أدرى، قال له عيسى: الباء بهاء الله، والسين سناؤه، والميم مملكته، والله إله الآلهة، والرحمن رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة**» وقد رواه ابن جرير[1] من حديث ابراهيم بن العلاء الملقب زبرِيق عن إسماعيل بن عياش عن إسماعيل بن يحيى عن ابن أبى مليكة عمن حدثه عن ابن مسعود ومسعر عن عطية عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ فذكره، وهذا غريب جدًّا، وقد يكون صحيحًا إلى من دون رسول الله ﷺ. وقد يكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات والله أعلم.

وقد روى جويبر عن الضحاك نحوه من قبله.

وقد روى ابن مردويه من حديث يزيد بن أبي خالد عن سليمان بن بريدة وفى رواية عن عبد الكريم أبى أمية عن ابن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**أنزلت على آية لم تنزل على نبى غير سليمان بن داود وغيرى وهى بسم الله الرحمن الرحيم**»[2]، وروى بإسناده عن عبد الكبير بن المعافى بن عمران عن أبيه عن عمر بن ذر عن عطاء بن أبى رباح عن جابر بن عبد الله قال: لما نزل ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ هرب الغيم إلى المشرق وسكنت الرياح، وهاج البحر وأصغت البهائم بآذانها، ورجمت الشياطين من السماء، وحلف الله تعالى بعزته وجلاله أن لا يسمى اسمه على شيء إلا بارك فيه. وقال وكيع عن الأعمش عن أبى وائل عن ابن مسعود قال: من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فيجعل الله له من كل حرف منها جنة من كل واحد. ذكره ابن عطية والقرطبى ووجهه ابن عطية ونظَّره بحديث «**لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها**»[3] لقول الرجل: ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، من أجل أنها بضعة وثلاثون حرفًا وغير ذلك.

---

(١) **موضوع**: ابن جرير في تفسيره (١/ ٥٣)، في سنده: «إسماعيل بن يحيى» متروك كذاب، وكان ممن يروى الموضوعات عن الثقات. انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٤١٦)، ولسان الميزان (١/ ٤٤١).

(٢) **ضعيف**: البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٦٢)، برقم (١٩٨٠٨).

(٣) البخاري (٧٩٩) من حديث رفاعة بن رافع الزرقى به.

وقال الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده [١] : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم قال: سمعت أبا تميمة يحدث عن رديف النبى ﷺ قال: عثر بالنبى ﷺ . فقلت تعس الشيطان فقال النبى ﷺ : «لا تقل تعس الشيطان، فإنك إذا قلت: تعس الشيطان تعاظم وقال: بقوتى صرعته، وإذا قلت: باسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب» هكذا وقع فى رواية الإمام أحمد.

وقد روى النسائى فى اليوم والليلة [٢] وابن مردويه فى تفسيره من حديث خالد الحذاء عن أبى تميمة وهو الهجيمى عن أبى المليح بن أسامة بن عمير عن أبيه قال: كنت رديف النبى ﷺ فذكره وقال: «لا تقل هكذا فإنه يتعاظم حتى يكون كالبيت، ولكن قل: بسم الله فإنه يصغر حتى يكون كالذبابة».

فهذا من تأثير بركة بسم الله، ولهذا تستحب فى أول كل عمل وقول، فتستحب فى أول الخطبة لما جاء «كل أمر لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أجذم» .

وتستحب البسملة عند دخول الخلاء لما ورد من الحديث فى ذلك [٣] وتستحب فى أول الوضوء لما جاء فى مسند الإمام أحمد والسنن [٤] من رواية أبى هريرة وسعيد بن زيد وأبى سعيد مرفوعًا «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه» وهو حديث حسن.

ومن العلماء من أوجبها عند الذكر ههنا ومنهم من قال بوجوبها مطلقًا وكذا تستحب عند الذبيحة فى مذهب الشافعى وجماعة، وأوجبها آخرون عند الذكر ومطلقًا فى قول بعضهم كما سيأتى بيانه فى موضعه إن شاء الله.

وقد ذكر الرازى فى تفسيره فى فضل البسملة أحاديث منها: عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أتيت أهلك فسم الله فإنه إن وجد لك ولد كتب بعدد أنفاسه وأنفاس ذريته حسنات» وهذا لا أصل له ولا رأيته فى شىء من الكتب المعتمد عليها ولا غيرها.

وهكذا تستحب عند الأكل لما فى صحيح مسلم [٥] أن رسول الله ﷺ قال لربيبه عمر بن أبى سلمة: «قل بسم الله وكل بيمينك وكل مما يليك» .

ومن العلماء من أوجبها والحالة هذه وكذلك تستحب عند الجماع لما فى الصحيحين [٦] عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتى أهله قال: بسم الله اللّهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدًا» .

ومن هاهنا ينكشف لك أن القولين عند النحاة فى تقدير المتعلق بالباء فى قولك ﴿بسم الله﴾ هل هو

---

(١) صحيح: أحمد (٢٠٠٦٩). (٢) صحيح: النسائي (١/ ٣٧٣) برقم (٥٥٤).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٦٠٦)، ابن ماجه (٢٩٧) من حديث على بن أبى طالب، ولفظه: «ستر ما بين أعين الجن وعوارات بنى آدم إذا دخل أحدهم الخلاء أن يقول: بسم الله».

(٤) حسن: أحمد (٩١٣٧)، وأبو داود (١٠١)، ابن ماجه (٣٩٩) من حديث أبى هريرة، أحمد (١٠٩٧٧)، ابن ماجه (٣٩٧) من حديث أبى سعيد الخدرى، الترمذي (٢٥) ابن ماجه (٣٩٨) من حديث سعيد بن زيد وقال الحافظ في التلخيص (١/ ٧٥): والظاهر أن مجموع الأحاديث يحدث منها قوة، تدل على أن له أصلًا.

(٥) البخاري (٥٣٧٦)، مسلم (٢٠٢٢) من حديث عمر بن أبى سلمة.

(٦) البخاري (١٤١)، مسلم (١٤٣٤).

اسم أو فعل متقاربان، وكل قد ورد به القرآن، أما من قدره (باسم) تقديره (بسم الله) ابتدائى فلقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: ٤١] ومن قدره بالفعل أمرًا أو خبرًا نحو أبدأ بسم الله أو ابتدأت باسم الله فلقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] وكلاهما صحيح فإن الفعل لا بد له من مصدر فلك أن تقدر الفعل ومصدره وذلك بحسب الفعل الذى سميت قبله إن كان قيامًا أو قعودًا أو أكلاً أو شربًا أو قراءة أو وضوءًا أو صلاة فالمشروع ذكر اسم الله فى الشروع فى ذلك كله تبركًا وتيمنًا واستعانة على الإتمام والتقبل والله أعلم.

ولهذا روى ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال: إن أول ما نزل به جبريل على محمد ﷺ قال: «**يا محمد قل: أستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال: قل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال: قال له جبريل: قل: بسم الله يا محمد يقول: اقرأ بذكر الله ربك وقم واقعد بذكر الله تعالى**»[1] لفظ ابن جرير.

وأما مسألة الاسم هل هو المسمى أو غيره؟ ففيها للناس ثلاثة أقوال: أحدها أن الاسم هو المسمى، وهو قول أبى عبيدة وسيبويه، واختاره الباقلانى وابن فورك، وقال الرازى وهو محمد بن عمر المعروف بابن خطيب الرى فى مقدمات تفسيره: قالت الحشوية والكرامية والأشعرية: الاسم نفس المسمى وغير نفس التسمية، وقالت المعتزلة: الاسم غير المسمى وغير التسمية، والمختار عندنا أن الاسم غير المسمى وغير التسمية، ثم نقول: إن كان المراد بالاسم هذا اللفظ الذى هو أصوات متقطعة وحروف مؤلفة، فالعلم الضرورى حاصل أنه غير المسمى وإن كان المراد بالاسم ذات المسمى، فهذا يكون من باب إيضاح الواضحات وهو عبث، فثبت أن الخوض فى هذا البحث على جميع التقديرات يجرى مجرى العبث.

ثم شرع يستدل على مغايرة الاسم للمسمى، بأنه قد يكون الاسم موجودًا والمسمى مفقودًا كلفظة المعدوم وبأنه قد يكون للشىء أسماء متعددة كالمترادفة وقد يكون الاسم واحدًا والمسميات متعددة كالمشترك وذلك دال على تغاير الاسم والمسمى وأيضًا فالاسم لفظ وهو عرض والمسمى قد يكون ذاتًا ممكنة أو واجبة بذاتها وأيضًا فلفظ النار والثلج لو كان هو المسمى لوجد اللافظ بذلك حر النار أو برد الثلج ونحو ذلك ولا يقوله عاقل وأيضًا فقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال النبى ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا» فهذه أسماء كثيرة والمسمى واحد وهو الله تعالى وأيضًا فقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ أضافها إليه كما قال: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤-٩٦] ونحو ذلك فالإضافة تقتضى المغايرة وقوله تعالى: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] أى فادعوا الله بأسمائه وذلك دليل على أنها غيره واحتج من قال الاسم هو المسمى بقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨] والمتبارك هو الله تعالى والجواب أن الاسم معظم لتعظيم الذات المقدسة، وأيضًا فإذا قال الرجل زينب طالق يعنى امرأته طلقت ولو كان الاسم غير المسمى لما وقع الطلاق والجواب أن المراد أن الذات المسماة بهذا الاسم طالق. قال الرازى: وأما التسمية فإنه جعل الاسم معينًا لهذه الذات فهى غير الاسم أيضًا والله أعلم.

(١) ضعيف: الطبرى في تفسيره (١/ ٥٠، ٥١).

﴿ٱللَّهُ﴾ علم على الرب تبارك وتعالى يقال: إنه الاسم الأعظم لأنه يوصف بجميع الصفات كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤] فأجرى الأسماء الباقية كلها صفات له كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وفى الصحيحين [١] عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة» وجاء تعدادها فى رواية الترمذى وابن ماجه [٢] وبين الروايتين اختلاف زيادة ونقصان وقد ذكر الرازى فى تفسيره عن بعضهم أن لله خمسة آلاف اسم: ألف فى الكتاب والسنة الصحيحة، وألف فى التوراة وألف فى الإنجيل، وألف فى الزبور وألف فى اللوح المحفوظ.

وهو اسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى ولهذا لا يعرف فى كلام العرب له اشتقاق من فعل يفعل فذهب من ذهب من النحاة إلى أنه اسم جامد لا اشتقاق له وقد نقله القرطبى عن جماعة من العلماء منهم الشافعى والخطابى وإمام الحرمين والغزالى وغيرهم وروى عن الخليل وسيبويه أن الألف واللام فيه لازمة، قال الخطابى: ألا ترى أنك تقول: يا الله ولا تقول: يا الرحمن، فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام وقيل إنه مشتق واستدلوا عليه بقول رؤبة بن العجاج:

لله دَرُّ الغانيات المدّه سبحن واسترجعن من تألهى

فقد صرح الشاعر بلفظ المصدر وهو التأله من أله يأله إلاهة وتألهًا كما روى عن ابن عباس أنه قرأ (ويذرك وإلاهتك) قال عبادتك أى أنه كان يُعبد ولا يَعبد وكذا قال مجاهد وغيره وقد استدل بعضهم على كونه مشتقًا بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] كما قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] ونقل سيبويه عن الخليل أن أصله إلاه مثل فعال فأدخلت الألف واللام بدلاً من الهمزة قال سيبويه: مثل الناس أصله أناس وقيل أصل الكلمة لاه فدخلت الألف واللام للتعظيم وهذا اختيار سيبويه: قال الشاعر:

لاهِ ابن عمك لا أفضلتَ فى حسبٍ عنى ولا أنت ديَّانى فَتَخْزُونى

قال القرطبى: بالخاء المعجمة أى فتسوسنى، وقال الكسائى والفراء أصله الإله حذفوا الهمزة وأدغموا اللام الأولى فى الثانية كما قال تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ [الكهف: ٣٨] أى: لكن أنا وقد قرأها كذلك الحسن.

قال القرطبى: ثم قيل: هو مشتق من وله إذا تحير والوله ذهاب العقل: يقال رجل واله وامرأة ولهى وماء موله إذا أرسل فى الصحراء فالله تعالى يحير أولئك فى الفكر فى حقائق صفاته فعلى هذا يكون أصل إلاه ولاه فأبدلت الواو همزة كما قالوا فى وشاح إشاح ووسادة إسادة وقال الرازى: وقيل إنه مشتق من ألهت إلى فلان أى: سكنت إليه فالعقول لا تسكن إلا إلى ذكره، والأرواح لا تفرح إلا بمعرفته لأنه الكامل على الإطلاق دون غيره، قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:

(١) البخاري (٢٧٣٦)، مسلم (٢٦٧٧). (٢) الترمذي (٣٥٠٧)، ابن ماجه (٣٨٦١).

٢٨] قال: وقيل من لاه يلوه إذا احتجب.

وقيل: اشتقاقه من أله الفصيل أولع بأمه. والمعنى أن العباد مألوهون مولعون بالتضرع إليه فى كل الأحوال، قال: وقيل مشتق من أله الرجل يأله إذا فزع من أمر نزل به فألهه أى أجاره فالمجير لجميع الخلائق من كل المضار هو الله سبحانه لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾[المؤمنون: ٨٨] وهو المنعم لقوله تعالى ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[النحل: ٥٣] وهو المطعم لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾[الأنعام: ١٤] وهو الموجد لقوله تعالى ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾[النساء: ٧٨] وقد اختار الرازى أنه اسم غير مشتق ألبتة، قال: وهو قول الخليل وسيبويه، وأكثر الأصوليين والفقهاء.

ثم أخذ يستدل على ذلك بوجوه منها: أنه لو كان مشتقًّا لاشترك فى معناه كثيرون، ومنها: أن بقية الأسماء تذكر صفات له فتقول: الله الرحمن الرحيم الملك القدوس، فدل أنه ليس بمشتق قال: فأما قوله تعالى ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهِ﴾[إبراهيم: ١-٢] على قراءة الجر فجعل ذلك من باب عطف البيان، ومنها قوله تعالى ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم: ٦٥] وفى الاستدلال بهذه على كون هذا الاسم جامدًا غير مشتق نظر والله أعلم.

وحكى الرازى عن بعضهم: أن اسم الله تعالى عبرانى لا عربى ثم ضعفه وهو حقيق بالتضعيف كما قال، وقد حكى الرازى هذا القول ثم قال واعلم أن الخلائق قسمان: واصلون إلى ساحل بحر المعرفة، ومحرومون قد بقوا فى ظلمات الحيرة وتيه الجهالة، فكأنهم قد فقدوا عقولهم وأرواحهم، وأما الواجدون فقد وصلوا إلى عرصة النور وفسحة الكبرياء والجلال فتاهوا فى ميادين الصمدية وبادوا فى عرصة الفردانية، فثبت أن الخلائق كلهم والهون فى معرفته، وروى عن الخليل بن أحمد أنه قال: لأن الخلق يألهون إليه بفتح اللام وكسرها لغتان.

وقيل: إنه مشتق من الارتفاع، فكانت العرب تقول لكل شىء مرتفع: لاها، وكانوا يقولون إذا طلعت الشمس: لاهت، وقيل: إنه مشتق من أله الرجل إذا تعبد وتأله إذ تنسك، وقرأ ابن عباس (ويذرك وإلاهتك) وأصل ذلك الإله فحذفت الهمزة التى هى فاء الكلمة فالتقت اللام التى هى عينها مع اللام الزائدة فى أولها للتعريف فأدغمت إحداهما فى الأخرى فصارتا فى اللفظ لامًا واحدة مشددة وفخمت تعظيمًا فقيل الله.

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم وفى كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا، وفى تفسير بعض السلف ما يدل على ذلك كما تقدم فى الأثر عن عيسى عليه السلام أنه قال: والرحمن: رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم: رحيم الآخرة، وزعم بعضهم أنه غير مشتق إذ لو كان كذلك لاتصل بذكر المرحوم وقد قال ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب: ٤٣] وحكى ابن الأنبارى فى الزاهر عن المبرد أن الرحمن: اسم عبرانى ليس بعربى وقال أبو إسحاق الزجاج فى معانى القرآن: وقال أحمد بن يحيى: الرحيم عربى والرحمن عبرانى فلهذا جمع بينهما.

قال أبو إسحاق: وهذا القول مرغوب عنه.

وقال القرطبي: والدليل على أنه مشتق ما خرّجه الترمذي[١] وصححه عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «**قال الله تعالى: أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسمًا من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته**». قال: وهذا نص في الاشتقاق فلا معنى للمخالفة والشقاق، قال وإنكار العرب لاسم الرحمن لجهلهم بالله وبما وجب له.

قال القرطبي: ثم قيل: هما بمعنى واحد كندمان ونديم قاله أبو عبيد، وقيل: ليس بناء فعلان كفعيل فإن فعلان لا يقع إلا على مبالغة الفعل نحو قولك: رجل غضبان للرجل الممتلئ غضبًا، وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول.

قال أبو علي الفارسي: الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى والرحيم إنما هو من جهة المؤمنين قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وقال ابن عباس: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر أي أكثر رحمة، ثم حكى عن الخطابي وغيره أنهم استشكلوا هذه الصفة وقالوا: لعله أرفق كما في الحديث «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله وإنه يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»[٢].

وقال ابن المبارك: الرحمن إذا سئل أعطى والرحيم إذا لم يسأل يغضب وهذا كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه[٣] من حديث أبي صالح الفارسي الخوزي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**من لم يسأل الله يغضب عليه**».

وقال بعض الشعراء:

لا تطلبن بني آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تغلق

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسأل يغضب

وقال ابن جرير: حدثنا السري بن يحيى التميمي حدثنا عثمان بن زفر سمعت العرزمي يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ لجميع الخلق ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ قال: بالمؤمنين قالوا: ولهذا قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[الفرقان: ٥٩] وقال ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[طه: ٥] فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته وقال: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب: ٤٣] فخصهم باسمه الرحيم قالوا: فدل على أن الرحمن أشد مبالغة في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه والرحيم خاصة بالمؤمنين.

لكن جاء في الدعاء المأثور: «رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما»[٤]. واسمه تعالى الرحمن خاص

---

(١) صحيح: الترمذي (١٩٠٧) وكذلك أخرجه أبو داود (١٦٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٢٧)، مسلم (٢٥٩٣) من حديث عائشة، واللفظ لمسلم.

(٣) صحيح: الترمذي (٣٣٧٣)، ابن ماجه (٣٨٢٧)، واللفظ للترمذي. انظر صحيح الجامع رقم (٢٤١٨).

(٤) ضعيف: رواه الحاكم في مستدركه (١/ ٦٩٦) برقم (١٨٩٨) من طريق الحكم بن عبد الله الأيلي عن القاسم بن محمد عن عائشة به. قال الحاكم: حديث صحيح. في إسناده: الحكم بن عبد الله الأيلي، وهو متروك، انظر: مجمع الزوائد (١٠/ ١٨٦).

به لم يسم به غيره كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥] ولما تجهرم مسيلمة الكذاب وتسمى برحمن اليمامة كساه الله جلباب الكذب وشهر به فلا يقال إلا مسيلمة الكذاب فصار يضرب به المثل فى الكذب بين أهل الحضر من أهل المدر وأهل الوبر من أهل البادية والأعراب.

وقد زعم بعضهم أن الرحيم أشد مبالغة من الرحمن لأنه أكد به والمؤكِّد لا يكون إلا أقوى من المؤكَّد والجواب أن هذا ليس من باب التوكيد وإنما هو من باب النعت ولا يلزم فيه ما ذكروه وعلى هذا فيكون تقدير اسم الله الذى لم يسم به أحد غيره ووصفه أولاً بالرحمن الذى منع من التسمية به لغيره كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] وإنما تجهرم مسيلمة اليمامة فى التسمى به ولم يتابعه على ذلك إلا من كان معه فى الضلالة.

وأما الرحيم فإنه تعالى وصف به غيره حيث قال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] كما وصف غيره بذلك من أسمائه كما قال تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢] والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيره ومنها ما لا يسمى به غيره كاسم الله والرحمن والخالق والرزاق ونحو ذلك فلهذا بدأ باسم الله ووصفه بالرحمن لأنه أخص وأعرف من الرحيم، لأن التسمية أولاً إنما تكون بأشرف الأسماء فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص. فإن قيل: فإذا كان الرحمن أشد مبالغة فهلا اكتفى به عن الرحيم، فقد روى عن عطاء الخراسانى ما معناه أنه لما تسمى غيره تعالى بالرحمن جىء بلفظ الرحيم ليقطع التوهم بذلك فإنه لا يوصف بالرحمن الرحيم إلا الله تعالى، كذا رواه ابن جرير عن عطاء. ووجهه بذلك والله أعلم.

وقد زعم بعضهم أن العرب لا تعرف الرحمن حتى رد الله عليهم ذلك بقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] ولهذا قال كفار قريش يوم الحديبية لما قال رسول الله ﷺ: «العلى اكتب بسم الله الرحمن الرحيم» فقالوا: لا نعرف الرحمن ولا الرحيم. رواه البخارى[1] وفى بعض الروايات: لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠] والظاهر أن إنكارهم هذا إنما هو جحود وعناد وتعنت فى كفرهم فإنه قد وجد فى أشعارهم فى الجاهلية تسمية الله بالرحمن قال ابن جرير: وقد أنشد بعض الجاهلية الجهال:

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها ألا قضب الرحمن ربى يمينها

وقال سلامة بن جندب الطهوى:

عجلتم علينا عَجْلَتْنَا عليكم ما يشأ الرحمن يعقد ويطلق

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا بشر بن عمارة حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال: الرحمن: الفعلان من الرحمة هو من كلام العرب وقال ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ

(١) البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الرفيق الرقيق بمن أحب أن يرحمه والبعيد الشديد على من أحب أن يعنف عليه، وكذلك أسماؤه كلها.

وقال ابن جرير أيضًا: حدثنا محمد بن بشار حدثنا حماد بن مسعدة عن عوف عن الحسن قال: الرحمن اسم ممنوع.

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان حدثنا زيد بن الحباب حدثنى أبو الأشهب عن الحسن قال: الرحمن اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه تسمى به تبارك وتعالى. وقد جاء فى حديث أم سلمة[1] أن رسول الله ﷺ كان يقطع قراءته حرفًا حرفًا ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ فقرأ بعضهم كذلك وهم طائفة ومنهم من وصلها بقوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. وكسرت الميم لالتقاء الساكنين وهم الجمهور، وحكى الكسائى من الكوفيين عن بعض العرب أنها تقرأ بفتح الميم وصلة الهمزة فيقولون: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين فنقلوا حركة الهمزة إلى الميم بعد تسكينها كما قُرئ قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١-٢] قال ابن عطية: ولم ترد هذه قراءة عن أحد فيما علمت.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾

القراء السبعة على ضم الدال فى قوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هو مبتدأ وخبر. وروى عن سفيان بن عيينة ورؤبة بن العجاج أنهما قالا ﴿الْحَمْدَ لِلَّهِ﴾ بالنصب وهو على إضمار فعل وقرأ ابن أبى عبلة ﴿ٱلْحَمْدُ لُلَّهِ﴾ بضم الدال واللام إتباعًا للثانى الأول وله شواهد لكنه شاذ، وعن الحسن وزيد بن على ﴿الْحَمْدِ لِلَّهِ﴾ بكسر الدال إتباعًا للأول الثانى.

قال أبو جعفر بن جرير: معنى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الشكر لله خالصًا دون سائر ما يعبد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه بما أنعم على عباده من النعم التى لا يحصيها العدد ولا يحيط بعددها غيره أحد، فى تصحيح الآلات لطاعته وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه مع ما بسط لهم فى دنياهم من الرزق، وغذاهم من نعيم العيش من غير استحقاق منهم ذلك عليه، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود فى دار المقام فى النعيم المقيم، فلربنا الحمد على ذلك كله أولاً وآخرًا.

وقال ابن جرير رحمه الله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثناء أثنى به على نفسه وفى ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال: قولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾. قال: وقد قيل: إن قول القائل: الحمد لله ثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وقوله: الشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه ثم شرع فى رد ذلك بما حاصله: أن جميع أهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلا من الحمد والشكر مكان الآخر وقد نقل السلمى هذا المذهب أنهما سواء عن جعفر الصادق وابن عطاء من الصوفية.

وقال ابن عباس ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كلمة كل شاكر.

---

(١) تقدم تخريجه.

وقد استدل القرطبى لابن جرير بصحة قول القائل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ شكرًا، وهذا الذى ادعاه ابن جرير فيه نظر، لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا على المتعدية ويكون بالجنان واللسان والأركان كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدى ولسانى والضمير المحجبا

ولكنهم اختلفوا أيهما أعمّ الحمد أو الشكر؟ على قولين والتحقيق أن بينهما عمومًا وخصوصًا فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية، تقول حمدته لفروسيته وحمدته لكرمه وهو أخص، لأنه لا يكون إلا بالقول، والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه لأنه يكون بالقول والفعل والنية كما تقدم وهو أخص لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية لا يقال: شكرته لفروسيته وتقول: شكرته على كرمه وإحسانه إلىّ. هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين والله أعلم.

وقال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى: الحمد نقيض الذم، تقول: حمدت الرجل أحمده حمدًا ومحمدة فهو حميد ومحمود والتحميد أبلغ من الحمد، والحمد أعم من الشكر، وقال فى الشكر: هو الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف يقال: شكرته وشكرت له وباللام أفصح.

وأما المدح فهو أعم من الحمد لأنه يكون للحى وللميت وللجماد أيضًا كما يمدح الطعام والمكان ونحو ذلك ويكون قبل الإحسان وبعده، وعلى الصفات المتعدية واللازمة أيضًا فهو أعم.

ذكر أقوال السلف فى الحمد

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبى حدثنا أبو معمر القطيعى حدثنا حفص عن حجاج عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال عمر -رضى الله عنه-: قد علمنا سبحان الله ولا إله إلا الله، فما الحمد لله؟ فقال على: كلمة رضيها الله لنفسه، ورواه غير أبى معمر عن حفص فقال: قال عمر لعلى - وأصحابه عنده: لا إله إلا الله وسبحان الله والله أكبر قد عرفناها فما الحمد لله؟ قال على: كلمة أحبها الله تعالى لنفسه ورضيها لنفسه وأحب أن تقال.

وقال على بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران: قال ابن عباس: الحمد لله كلمة الشكر وإذا قال العبد الحمد لله قال: شكرنى عبدى رواه ابن أبى حاتم.

وروى أيضًا هو وابن جرير من حديث بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال: الحمد لله هو الشكر لله والاستخذاء له والإقرار له بنعمه وهدايته وابتدائه وغير ذلك.

وقال كعب الأحبار: الحمد لله ثناء الله، وقال الضحاك: الحمد لله رداء الرحمن، وقد ورد الحديث بنحو ذلك.

قال ابن جرير [1]: حدثنا سعيد بن عمرو السكونى حدثنا بقية بن الوليد حدثنى عيسى بن إبراهيم

---

(١) **إسناده ضعيف:** ابن جرير في تفسيره (١/ ٦٠) في سنده: عيسى بن إبراهيم، وهو منكر الحديث. انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٣٠٨).

عن موسى بن أبى حبيب عن الحكم بن عمير وكانت له صحبة قال: قال رسول الله ﷺ «**إذا قلت: الحمد لله رب العالمين فقد شكرت الله فزادك**» ، وقد روى الإمام أحمد بن حنبل[١] : حدثنا روح حدثنا عوف عن الحسن عن الأسود بن سريع قال: قلت: يا رسول الله ألا أنشدك محامد حمدت بها ربى تبارك وتعالى؟ فقال: «**أما إن ربك يحب الحمد**» ورواه النسائى[٢] عن على بن حجر عن ابن علية عن يونس بن عبيد عن الحسن عن الأسود بن سريع به. وروى أبو عيسى الحافظ الترمذى والنسائى وابن ماجه[٣] من حديث موسى بن إبراهيم بن كثير عن طلحة بن خراش عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ «**أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله**» وقال الترمذى: حسن غريب، وروى ابن ماجه[٤] عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد الله إلا كان الذى أعطى أفضل مما أخذ**»

وقال القرطبى فى تفسيره: وفى نوادر الأصول عن أنس عن النبى ﷺ قال: «**لو أن الدنيا بحذافيرها فى يد رجل من أمتى ثم قال: الحمد لله لكان الحمد لله أفضل من ذلك**»[٥] . قال القرطبى وغيره: أى لكان إلهامه الحمد لله أكثر نعمة عليه من نعم الدنيا لأن ثواب الحمد لله لا يفنى ونعيم الدنيا لا يبقى قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[الكهف: ٤٦] وفى سنن ابن ماجه[٦] عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ حدثهم: أن عبدًا من عباد الله قال: يا رب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك. فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا إلى الله فقالا: يا ربنا إن عبدًا قد قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها، قال الله -وهو أعلم بما قال عبده-: ماذا قال عبدى؟ قالا يا رب إنه قال: لك الحمد يا رب كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك. فقال الله لهما «اكتباها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيه بها» . وحكى القرطبى عن طائفة أنهم قالوا: قول العبد: الحمد لله رب العالمين أفضل من قوله لا إله إلا الله لاشتمال الحمد لله رب العالمين على التوحيد مع الحمد.

وقال آخرون: لا إله إلا الله أفضل لأنها تفصل بين الإيمان والكفر وعليها يقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، كما ثبت فى الحديث المتفق عليه[٧] .

وفى الحديث الآخر: «**أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له**»[٨] وقد

---

(١) **حسن:** أحمد (١٥١٥٩).
(٢) النسائي في الكبرى (٤/ ٤١٦)، برقم (٧٧٤٥).
(٣) **حسن:** الترمذي (٣٣٨٣)، ابن ماجه (٣٨٠٠)، انظر صحيح الجامع رقم (١١٠٤).
(٤) **حسن:** ابن ماجه (٣٨٠٥) قال البوصيرى في مصباح الزجاجة (٤/ ١٣١): هذا إسناد حسن.
(٥) **موضوع:** نوادر الأصول (٢/ ٢٦٧)، القرطبي (١/ ١٣١)، انظر: ضعيف الجامع رقم (٤٨٠٠).
(٦) ابن ماجه (٣٨٠١) قال البوصيرى في مصباح الزجاجة (٤/ ١٣٠): هذا إسناد فيه مقال، قدامة بن إبراهيم ذكره ابن حبان في الثقات، وصدقة بن بشير لم أر من جرحه، ولا من وثقه، وباقى رجال الإسناد ثقات، رواه الإمام أحمد في مسنده من هذا الوجه اهـ.
(٧) البخاري (١٣٩٩)، مسلم (٢٠، ٢١)، بلفظ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله..».
(٨) **حسن:** أخرجه الترمذي (٣٥٨٥) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به. انظر: صحيح الجامع رقم (٣٢٧٤).

تقدم عن جابر مرفوعًا «أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله» وحسنه الترمذى.

والألف واللام فى الحمد لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه لله تعالى كما جاء فى الحديث «اللّهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله وإليك يرجع الأمر كله»[1] الحديث.

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

والرب هو: المالك المتصرف ويطلق فى اللغة على السيد وعلى المتصرف للإصلاح وكل ذلك صحيح فى حق الله تعالى ولا يستعمل الرب لغير الله بل بالإضافة تقول: رب الدار، رب كذا، وأما الرب فلا يقال إلا لله عز وجل، وقد قيل: إنه الاسم الأعظم. والعالمين جمع عالم وهو كل موجود سوى الله عز وجل والعالم جمع لا واحد له من لفظه، والعوالم أصناف المخلوقات فى السموات وفي الأرض وفى البر والبحر وكل قرن منها وجيل يسمى عالمًا أيضًا. قال بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الحمد لله الذى له الخلق كله السموات والأرض وما فيهنّ وما بينهن مما نعلم ومما لا نعلم. وفى رواية سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس: رب الجن والإنس، وكذلك قال سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج وروى عن على نحوه.

وقال ابن أبى حاتم: بإسناد لا يعتمد عليه، واستدل القرطبى لهذا القول بقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] وهم الجن والإنس. قال الفراء وأبو عبيد: العالم عبارة عما يعقل وهم الإنس والجن والملائكة والشياطين ولا يقال للبهائم عالم. وعن زيد بن أسلم وأبى محيصن: العالم كل ما له روح ترفرف.

وقال قتادة: رب العالمين كل صنف عالم، وقال الحافظ ابن عساكر فى ترجمة مروان بن محمد وهو أحد خلفاء بنى أمية وهو يعرف بالجعد ويلقب بالحمار أنه قال خلق الله سبعة عشر ألف عالم أهل السموات وأهل الأرض عالم واحد وسائرهم لا يعلمهم إلا الله عز وجل.

وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال الإنس عالم والجن عالم وما سوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم أو أربعة عشر ألف عالم - هو يشك - من الملائكة على الأرض وللأرض أربع زوايا، فى كل زاوية ثلاثة آلاف عالم وخمسمائة عالم خلقهم الله لعبادته. رواه ابن جرير وابن أبى حاتم. وهذا كلام غريب يحتاج مثله إلى دليل صحيح.

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الفرات، يعنى ابن الوليد، عن معتب بن سمى عن تبيع يعنى الحميرى فى قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: العالمين ألف أمة فستمائة فى البحر وأربعمائة فى البر.

وحكى مثله عن سعيد بن المسيب وقد روى نحو هذا مرفوعًا.

كما قال الحافظ أبو يعلى أحمد بن على بن المثنى فى مسنده[2]: حدثنا محمد بن المثنى حدثنا

---

(١) **سنده ضعيف**: أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٨٤٦) من حديث حذيفة بن اليمان به. قال الهيثمي في المجمع (١٠/٩٦)، وفيه راوٍ لم يسم، وبقية رجاله ثقات.

(٢) **موضوع**: أورده الحافظ ابن حجر في المطالب العالية رقم (٢٣٩٩)، وعزاه إلى أبى يعلى، وكذا ابن حبان في المجروحين (٢/٢٥٦)، وقال: وهذا شيء لا شك أنه موضوع، ليس هذا من كلام رسول الله ﷺ.

عبيد بن واقد القيسى أبو عباد حدثنى محمد بن عيسى بن كيسان حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قلّ الجراد فى سنة من سنى عمر التى ولى فيها، فسأل عنه فلم يخبر بشىء، فاغتم لذلك، فأرسل راكبًا يضرب إلى اليمن وآخر إلى الشام وآخر إلى العراق يسأل هل رؤى من الجراد شىء أم لا؟ قال: فأتاه الراكب الذى من قبل اليمن بقبضة من جراد، فألقاها بين يديه فلما رآها كبر ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**خلق الله ألف أمة: ستمائة فى البحر وأربعمائة فى البر، فأول شىء يهلك من هذه الأمم الجراد فإذا هلك تتابعت مثل النظام إذا قطع سلكه**» محمد بن عيسى هذا - وهو الهلالى - ضعيف.

وحكى البغوى عن سعيد بن المسيب أنه قال: لله ألف عالم ستمائة فى البحر وأربعمائة فى البر وقال وهب بن منبه لله ثمانية عشر ألف عالم: الدنيا عالم منها، وقال مقاتل: العوالم ثمانون ألفًا، وقال كعب الأحبار: لا يعلم عدد العوالم إلا الله عز وجل نقله كله البغوى. وحكى القرطبى عن أبى سعيد الخدرى أنه قال: إن لله أربعين ألف عالم الدنيا من شرقها إلى مغربها عالم واحد منها.

وقال الزجاج: العالم كل ما خلق الله فى الدنيا والآخرة.

قال القرطبى: وهذا هو الصحيح إنه شامل لكل العالمين كقوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤] والعالم مشتق من العلامة.

قُلْتُ: لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته كما قال ابن المعتز:

فيا عجبًا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شىء له آية ... تدل على أنه واحد

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ تقدم الكلام عليه فى البسملة بما أغنى عن إعادة. قال القرطبى: إنما وصف نفسه بالرحمن الرحيم بعد قوله رب العالمين ليكون من باب قرن الترغيب بعد الترهيب كما قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥] قال: فالرب فيه ترهيب والرحمن الرحيم ترغيب وفى صحيح مسلم [1] عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع فى جنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أحد**».

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾

قرأ بعض القراء ﴿مَٰلِكِ﴾ وقرأ آخرون «مَلِك» وكلاهما صحيح متواتر فى السبع، ويقال ملك بكسر اللام وبإسكانها، ويقال ﴿مليك﴾ أيضًا وأشبع نافع كسرة الكاف فقرأ ﴿ملكى يوم الدين﴾ وقد رجّح كلا من القراءتين مرجّحون من حيث المعنى وكلتاهما صحيحة حسنة، ورجح الزمخشرى ملك لأنها قراءة أهل الحرمين ولقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ [الأنعام: ٧٣] وحكي عن أبى حنيفة أنه قرأ: «مَلَكَ يومَ الدين» على أنه فعل وفاعل ومفعول وهذا شاذ غريب جدًّا وقد

(١) مسلم (٢٧٥٥).

روى أبو بكر بن أبى داود فى ذلك شيئًا غريبًا حيث قال: حدثنا أبو عبد الرحمن الأذرميُّ، حدثنا عبد الوهاب بن عدى بن الفضل عن أبى المطرف عن ابن شهاب أنه بلغه أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وابنه يزيد بن معاوية كانوا يقرؤون ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ قال ابن شهاب وأول من أحدث «ملك» مروان.

(قُلْتُ) مروان عنده علم بصحة ما قرأه لم يطلع عليه ابن شهاب والله أعلم. وقد روى من طرق متعددة أوردها ابن مردويه أن رسول الله ﷺ كان يقرؤها ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ ومالك مأخوذ من الملك كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠] وقال ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٢] وملك مأخوذ من المُلك كما قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] وقال ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۖ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الأنعام: ٧٣] وقال: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦] وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين وذلك عامّ فى الدنيا والآخرة، وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يدعى أحد هنالك شيئًا ولا يتكلم أحد إلا بإذنه كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا﴾ [النبأ: ٣٨] وقال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا﴾ [طه: ١٠٨] وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ﴾ [هود: ١٠٥] وقال الضحاك عن ابن عباس ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ يقول لا يملك أحد معه فى ذلك اليوم حكمًا كملكهم فى الدنيا، قال: ويوم الدين يوم الحساب للخلائق وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر إلا من عفا عنه، وكذلك قال غيره من الصحابة والتابعين والسلف هو ظاهر.

وحكى ابن جرير عن بعضهم أنه ذهب إلى أن تفسير ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ أنه القادر على إقامته ثم شرع يضعفه، والظاهر أنه لا منافاة بين هذا القول وما تقدم وأن كلًّا من القائلين هذا القول وبما قبله يعترف بصحة القول الآخر ولا ينكره، ولكن السياق أدل على المعنى الأول من هذا، كما قال تعالى: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ [الفرقان: ٢٦] والقول الثانى يشبه قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ [الأنعام: ٧٣] والله أعلم. والملك فى الحقيقة هو الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر: ٢٣] وفى الصحيحين [(١)] عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعًا **«أخنع اسم عند الله رجل تسمى بملك الأملاك ولا مالك إلا الله»** وفيهما [(٢)] عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»** وفى القرآن العظيم ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] فأما تسمية غيره فى الدنيا بملك فعلى سبيل المجاز كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗا﴾ [البقرة: ٢٤٧] ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ﴾ [الكهف: ٧٩] ﴿إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا﴾ [المائدة: ٢٠] وفى الصحيحين [(٣)] **«مثل الملوك على الأسرة»**.

---

(١) البخاري (٦٢٠٦)، مسلم (٢١٤٣).

(٢) البخاري (٤٨١٢، ٦٥١٩)، مسلم (٢٧٨٧).

(٣) البخاري (٢٧٨٩)، مسلم (١٩١٢) من حديث أنس بن مالك به.

والدين الجزاء والحساب كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥] وقال: ﴿أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣] أى مجزيون محاسبون، وفى الحديث: «**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت**»[١] أى حاسب نفسه لنفسه، كما قال عمر رضى الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨][٢].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

قرأ السبعة والجمهور بتشديد الياء من ﴿إِيَّاكَ﴾ وقرأ عمرو بن فايد بتخفيفها مع الكسر وهى قراءة شاذة مردودة لأن «إيا» ضوء الشمس، وقرأ بعضهم أياك بفتح الهمزة وتشديد الياء، وقرأ بعضهم هياك بالهاء بدل الهمزة كما قال الشاعر:

فهياك والأمر الذى إن تراحبت مواردة ضاقت عليك مصادره

و﴿نَسْتَعِينُ﴾ بفتح النون أول الكلمة فى قراءة الجميع سوى يحيى بن وثاب والأعمش فإنهما كسراها وهى لغة بنى أسد وربيعة وبنى تميم، والعبادة فى اللغة من الذلة يقال: طريق معبد وبعير معبد أى مذلل وفى الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف. وقدم المفعول وهو ﴿إِيَّاكَ﴾ وكرر للاهتمام والحصر أى لا نعبد إلا إياك ولا نتوكل إلا عليك وهذا هو كمال الطاعة، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، وهذا كما قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فالأول تبرؤ من الشرك، والثانى تبرؤ من الحول والقوة والتفويض إلى الله عز وجل، وهذا المعنى فى غير آية من القرآن كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]، ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩]، ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩] وكذلك هذه الآية الكريمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وتحول الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب وهو مناسبة لأنه لما أثنى على الله فكأنه اقترب وحضر بين يدى الله تعالى فلهذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وفى هذا دليل على أن أول السورة خبر من الله تعالى بالثناء على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنى وإرشاد لعباده بأن يثنوا عليه بذلك ولهذا لا تصح صلاة من لم يقل ذلك وهو قادر عليه، كما جاء فى الصحيحين[٣] عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**».

وفى صحيح مسلم[٤] من حديث العلاء بن عبد الرحمن مولى الحُرَقة عن أبيه عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل إذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله: حمدنى عبدى، وإذا قال:**

---

(١) ضعيف: الترمذي (٢٤٥٩)، ابن ماجه (٤٢٦٠) من حديث شداد بن أوس به. في سنده: عبد الله بن أبى مريم، وهو واه، انظر: ضعيف الجامع رقم (٤٣٠٥).

(٢) صحيح: رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٥٢)

(٣) تقدم تخريجه. (٤) تقدم تخريجه.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال الله: أثنى علي عبدي، فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ قال الله مجدني عبدي، وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».

وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ يعني إياك نوحد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ على طاعتك وعلى أمورنا كلها، وقال قتادة ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ يأمركم أن تخلصوا له العبادة وأن تستعينوه على أموركم وإنما قدم ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ على ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ لأن العبادة له هي المقصودة والاستعانة وسيلة إليها والاهتمام والحزم تقديم ما هو الأهم فالأهم والله أعلم.

فإن قيل: فما معنى النون في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فإن كانت للجمع فالداعي واحد وإن كانت للتعظيم فلا يناسب هذا المقام؟ وقد أجيب بأن المراد من ذلك الإخبار عن جنس العباد والمصلي فرد منهم، ولا سيما إن كان في جماعة أو إمامهم فأخبر عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين بالعبادة التي خلقوا لأجلها وتوسط لهم بخير، ومنهم من قال: يجوز أن تكون للتعظيم كأن العبد قيل له: إذا كنت داخل العبادة فأنت شريف وجاهك عريض فقل: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ وإن كنت خارج العبادة فلا تقل نحن ولا فعلنا ولو كنت في مائة ألف أو ألف ألف لاحتياج الجميع إلى الله عز وجل وفقرهم إليه. ومنهم من قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ ألطف في التواضع من إياك عبدنا لما في الثاني من تعظيم نفسه من جعله نفسه وحده أهلاً لعبادة الله تعالى الذي لا يستطيع أحد أن يعبده حق عبادته ولا يثني عليه كما يليق به، والعبادة مقام عظيم يشرف به العبد لانتسابه إلى جناب الله تعالى كما قال بعضهم:

لا تدعني إلا بيا عبدها ... فإنه أشرف أسمائي

وقد سمى الله رسوله ﷺ بعبده في أشرف مقاماته فقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١] ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ [الإسراء: ١] فسماه عبدًا عند إنزاله عليه وعند قيامه في الدعوة وإسرائه به وأرشده إلى القيام بالعبادة في أوقات يضيق صدره من تكذيب المخالفين حيث يقول: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٧-٩٩] وقد حكى الرازي في تفسيره عن بعضهم أن مقام العبودية أشرف من مقام الرسالة لكون العبادة تصدر من الخلق إلى الحق والرسالة من الحق إلى الخلق، قال: ولأن الله يتولى مصالح عبده والرسول يتولى مصالح أمته، وهذا القول خطأ والتوجيه أيضًا ضعيف لا حاصل له ولم يتعرض له الرازي بتضعيف ولا ردّ، وقال بعض الصوفية: العبادة إما لتحصيل ثواب أو درء عقاب، قالوا: وهذا ليس بطائل إذ مقصوده تحصيل مقصوده، وإما للتشريف بتكاليف الله تعالى وهذا أيضًا عندهم ضعيف، بل العالي أن يعبد الله لذاته المقدسة الموصوفة بالكمال، قالوا: ولهذا يقول المصلي: أصلي لله، ولو كان لتحصيل الثواب ودرء العقاب لبطلت الصلاة: وقد رد ذلك عليهم آخرون وقالوا: كون العبادة لله عز وجل لا ينافي أن يطلب معها ثوابًا ولا

أن يدفع عذابًا كما قال ذلك الأعرابى: أما إنى لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ إنما أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار فقال النبى ﷺ «حولها ندندن» (١).

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾

قراءة الجمهور بالصاد وقرئ ﴿السراط﴾ وقرئ بالزاى، قال الفراء: وهى لغة بنى عذرة وبنى كلب لما تقدم الثناء على المسؤول تبارك وتعالى ناسب أن يعقب بالسؤال كما قال: «فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل» وهذا أكمل أحوال السائل أن يمدح مسؤوله ثم يسأل حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] لأنه أنجح للحاجة وأنجع للإجابة، ولهذا أرشد الله إليه لأنه الأكمل، وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه كما قال موسى عليه السلام ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤] وقد يتقدمه مع ذلك وصف المسؤول كقول ذى النون ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وقد يكون بمجرد الثناء على المسؤول كقول الشاعر:

أأذكر حاجتى أم قد كفانى ... حياؤك إنَّ شيمتَك الحياءُ

إذا أثنى عليك المرء يومًا ... كفاه مِنْ تعرضِه الثناءُ

والهداية ههنا الإرشاد والتوفيق، وقد تُعدى الهداية بنفسها كما هنا ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ فتضمن معنى ألهمنا أو وفقنا أو ارزقنا أو أعطنا ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠] أى بينا له الخير والشر، وقد تعدى بإلى كقوله تعالى: ﴿ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢١] ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣] وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] وقد تعدى باللام كقول أهل الجنة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣] أى وفقنا لهذا وجعلنا له أهلًا.

وأما الصراط المستقيم فقال الإمام أبو جعفر بن جرير: أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعًا على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذى لا اعوجاج فيه، وذلك فى لغة جميع العرب فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفى:

أمير المؤمنين على صراطٍ ... إذا اعوجَّ الموارِدُ مستقيم

قال: والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصر، قال: ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله فى كل قول وعمل ووصف باستقامة أو اعوجاج فتصف المستقيم باستقامته والمعوج باعوجاجه. ثم اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف فى تفسير الصراط، وإن كان يرجع حاصلها إلى شىء واحد وهو المتابعة لله وللرسول، فروى أنه كتاب الله، قال ابن أبى حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة حدثنى يحيى بن يمان عن حمزة الزيات عن سعيد -وهو ابن المختار الطائى- عن ابن أخى الحارث الأعور

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٧٩٢)، أحمد (١٥٤٦٨) عن أبى صالح عن بعض أصحاب النبي ﷺ، رواه ابن ماجه (٩١٠، ٣٨٤٧) عن أبى صالح عن أبى هريرة به. قال البوصيرى في مصباح الزجاجة (١/ ١١٣): إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

عن الحارث الأعور عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**الصراط المستقيم كتاب الله**» [١] وكذلك رواه ابن جرير من حديث حمزة بن حبيب الزيات وقد تقدم فى فضائل القرآن فيما رواه أحمد والترمذى [٢] من رواية الحارث الأعور عن على مرفوعًا «**وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم**» وقد روى موقوفًا [٣] على على رضى الله عنه وهو أشبه والله أعلم.

وقال الثورى عن منصور عن أبى وائل عن عبد الله **قال**: الصراط المستقيم كتاب الله، وقيل: هو الإسلام، قال الضحاك عن ابن عباس قال: قال جبريل لمحمد عليهما السلام: «**قل يا محمد اهدنا الصراط المستقيم**» يقول: اهدنا الطريق الهادى وهو دين الله الذى لا اعوجاج فيه، وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ قال ذاك الإسلام، وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى ﷺ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ قالوا: هو الإسلام، وقال عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: هو الإسلام هو أوسع مما بين السماء والأرض.

وقال ابن الحنفية فى قوله تعالى ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: هو دين الله الذى لا يقبل من العباد غيره، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: اهدنا الصراط المستقيم قال: هو الإسلام وفى معنى هذا، الحديث الذى رواه الإمام أحمد فى مسنده [٤]، حيث قال: حدثنا الحسن بن سوار أبو العلاء حدثنا ليث -يعنى ابن سعد- عن معاوية بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثه عن أبيه عن النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ قال: «**ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا وعلى جنبتى الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعًا ولا تعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه - فإنك إن تفتحه تلجه - فالصراط الإسلام والسوران حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعى على رأس الصراط كتاب الله، والداعى من فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم**»، وهكذا رواه ابن أبى حاتم وابن جرير [٥] من حديث الليث بن سعد به، ورواه الترمذى والنسائى [٦] جميعًا عن على بن حجر عن بقية، عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن النواس بن سمعان به، وهو إسناد حسن صحيح والله أعلم. وقال مجاهد ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: الحق. وهذا أشمل ولا منافاة بينه وبين ما تقدم، وروى ابن أبى حاتم وابن

---

(١) ضعيف جدًا: ابن أبى حاتم في تفسيره، ابن جرير في تفسيره (١/ ٧٤). في سنده أبو المختار الطائى مجهول، وابن أخى الحارث مجهول، الحارث كذبه على بن المدينى.

(٢) ضعيف جدًا: أحمد (٧٠٦)، الترمذي (٢٩٠٦). قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفى الحارث مقال.

(٣) الطبرى في تفسيره (١/ ٧٤).

(٤) صحيح: أحمد (١٧١٨٢).

(٥) ابن أبى حاتم في تفسيره (١/ ٣٠)، ابن جرير في تفسيره (١/ ٧٥).

(٦) الترمذي (٢٨٥٩)، النسائي في الكبرى (١/ ٣٦١) برقم (١١٢٣٣)، قال الترمذي: حديث حسن غريب.

جرير من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم حدثنا حمزة بن المغيرة عن عاصم الأحول عن أبي العالية: ﴿اَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: هو النبي ﷺ وصاحباه من بعده. قال عاصم: فذكرنا ذلك للحسن فقال: صدق أبو العالية ونصح. وكل هذه الأقوال صحيحة وهي متلازمة فإن من اتبع النبي ﷺ واقتدى باللذين من بعده أبي بكر وعمر فقد اتبع الحق ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضًا، ولله الحمد.

وقال الطبراني [1]: حدثنا محمد بن الفضل السقطي حدثنا إبراهيم بن مهدي المصيصي حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: الصراط المستقيم الذي تركنا عليه رسول الله ﷺ. ولهذا قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله: والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي -أعني ﴿اَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ - أن يكون مغيًّا به: وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل، وذلك هو الصراط المستقيم لأن من وفق لما وفق له مَن أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقد وفق للإسلام وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب والعمل بما أمره الله به والانزجار عما زجره عنه واتباع منهاج النبي ﷺ ومنهاج الخلفاء الأربعة، وكل عبد صالح وكل ذلك من الصراط المستقيم.

(فإن قيل) فكيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها وهو متصف بذلك؟ فهل هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا؟ فالجواب أن لا، ولولا احتياجه ليلًا ونهارًا إلى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إلى ذلك فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها وتبصره وازدياده منها واستمراره عليها فإن العبد لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق، فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله فإنه قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦] الآية: فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك والله أعلم. وقال تعالى آمرًا لعباده المؤمنين أن يقولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨] وقد كان الصديق رضي الله عنه يقرأ بهذه الآية في الركعة الثالثة من صلاة المغرب بعد الفاتحة سرًّا، فمعنى قوله تعالى ﴿اَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ استمر بنا عليه ولا تعدل بنا إلى غيره.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

وقد تقدم الحديث فيما إذا قال العبد ﴿اَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخرها أن الله يقول: «هذا لعبدي ولعبدي ما سأل» وقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مفسر للصراط المستقيم وهو بدل منه عند النحاة ويجوز أن يكون عطف بيان والله أعلم. والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في

(١) صحيح: الطبراني في الكبير (١٠/١٩٩) برقم (١٠٤٥٤).

سورة النساء حيث قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٩-٧٠] وقال الضحاك عن ابن عباس: صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من ملائكتك وأنبيائك والصديقين والشهداء والصالحين. وذلك نظير ما قال ربنا تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ الآية. وقال أبو جعفر الرازى: عن الربيع بن أنس: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ قال: هم النبيّون، وقال ابن جريج عن ابن عباس: هم المؤمنون، وكذا قال مجاهد وقال وكيع: هم المسلمون، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هم النبى ﷺ ومن معه، والتفسير المتقدم عن ابن عباس رضى الله عنهما أعم وأشمل والله أعلم.

وَقَوْلُه تَعَالَى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قرأ الجمهور ﴿غَيْرِ﴾ بالجر على النعت، قال الزمخشرى: وقرئ بالنصب على الحال، وهى قراءة رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب، ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير فى ﴿عَلَيْهِمْ﴾ والعامل ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يعنى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ممن تقدم وصفهم ونعتهم وهم أهل الهداية والاستقامة والطاعة لله ورسله وامتثال أوامره وترك نواهيه وزواجره غير صراط المغضوب عليهم وهم الذين فسدت إرادتهم فعلموا الحق وعدلوا عنه ولا صراط الضالين وهم الذين فقدوا العلم فهم هائمون فى الضلالة لا يهتدون إلى الحق. وأكد الكلام بلا ليدل على أن ثَمّ مسلكين فاسدين وهما طريقتا اليهود والنصارى، وقد زعم بعض النحاة أن ﴿غَيْرِ﴾ ههنا استثنائية فيكون على هذا منقطعًا لاستثنائهم من المنعم عليهم وليسوا منهم وما أوردناه أولى لقول الشاعر:

كأنك من جمال بنى أقيش ... يقعقع عند رجليه بشنّ

أى كأنك جمل من جمال بنى أقيش فحذف الموصوف واكتفى بالصفة وهكذا ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أى غير صراط المغضوب عليهم اكتفى بالمضاف إليه عن ذكر المضاف، وقد دل سياق الكلام وهو قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ثم قال تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ ومنهم من زعم أن «لا» فى قوله تعالى ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ زائدة وأن تقدير الكلام عنده: غير المغضوب عليهم والضالين واستشهد ببيت العجاج:

فى بئر لا حور ... تسعى وما شعر

أى فى بئر حور، والصحيح ما قدمناه، ولهذا روى أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتاب فضائل القرآن عن أبى معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يقرأ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَغَيْرِ ٱلضَّالِّينَ﴾ وهذا إسناد صحيح، وكذلك حكى عن أبى بن كعب أنه قرأ كذلك، وهو محمول على أنه صدر منهما على وجه التفسير، فيدل على ما قلناه من أنه إنما جىء بـ «لا» لتأكيد النفى لئلا يتوهم أنه معطوف على ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وللفرق بين الطريقتين ليتجنب كل واحد منهما، فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به واليهود فقدوا العمل والنصارى فقدوا العلم، ولهذا كان الغضب لليهود والضلال للنصارى، لأن من علم وترك استحق الغضب بخلاف من لم يعلم، والنصارى لما كانوا قاصدين شيئًا لكنهم لا يهتدون إلى طريقه؛ لأنهم لم

يأتوا الأمر من بابه، وهو اتباع الحق، ضلوا، وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال تعالى عنهم ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠] وأخص أوصاف النصارى الضلال كما قال تعالى عنهم ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧] وبهذا جاءت الأحاديث والآثار وذلك واضح بين فيما قال الإمام أحمد (١): حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال سمعت سماك بن حرب يقول: سمعت عباد بن حبيش يحدث عن عدى بن حاتم، قال جاءت خيل رسول الله ﷺ فأخذوا عمتى وناسًا فلما أتوا بهم إلى رسول الله ﷺ صُفوا له فقالت: يا رسول الله: ناء الوافد وانقطع الولد وأنا عجوز كبيرة ما بى من خدمة فمنّ على منّ الله عليك، قال: «من وافدك؟» قالت: عدى بن حاتم، قال: «الذى فرّ من الله ورسوله» قالت: فمنّ على، فلما رجع ورجل إلى جنبه ترى أنه على قال: سليه حملانا فسألته فأمر لها، قال: فأتتنى فقالت: لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها فإنه قد أتاه فلان فأصاب منه، وأتاه فلان فأصاب منه فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان أوصبى وذكر قربهم من النبى ﷺ قال: فعرفت أنه ليس بملك كسرى ولا قيصر، فقال: «يا عدى ما أفرك؟ أن يقال لا إله إلا الله؟ فهل من إله إلا الله؟ قال: ما أفرك أن يقال الله أكبر فهل شىء أكبر من الله عز وجل؟» قال: فأسلمت، فرأيت وجهه استبشر وقال: «إن المغضوب عليهم اليهود وإن الضالين النصارى» ، وذكر الحديث ورواه الترمذى (٢) من حديث سماك بن حرب، وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه .

(قُلْتُ) وقد رواه حماد بن سلمة عن سماك عن مَرّى بن قَطَرى عن عدى بن حاتم قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: هم اليهود ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال: النصارى هم الضالون، وهكذا رواه سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبى خالد عن الشعبى عن عدى بن حاتم به (٣)، وقد روى حديث عدى هذا من طرق، وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها، وقال عبد الرزاق (٤): أخبرنا معمر عن بديل العقيلى أخبرنى عبد الله بن شقيق أنه أخبره من سمع رسول الله ﷺ وهو بوادى القرى على فرسه وسأله رجل من بنى القين فقال: يا رسول الله من هؤلاء؟ قال: المغضوب عليهم وأشار إلى اليهود والضالون هم النصارى .

وقد رواه الجريرى وعروة وخالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق فأرسلوه (٥) ولم يذكروا من سمع النبى ﷺ ووقع فى رواية عروة تسمية عبد الله بن عمرو فالله أعلم . وقد روى ابن مردويه من حديث إبراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن أبى ذر قال: سألت رسول الله ﷺ عن المغضوب عليهم قال: اليهود، قال: قلت: الضالين قال: النصارى (٦)، وقال السدى عن أبى مالك

---

(١) صحيح: أحمد (١٨٨٩١)، قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٢١١): رجاله رجال الصحيح غير عباد بن جيش وهو ثقة، وفي الصحيح وغيره بعضه.

(٢) صحيح: الترمذي (٢٩٥٤). (٣) صحيح: رواه ابن جرير في تفسيره (١/ ٧٩).

(٤) صحيح: رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٧) ومن طريق ابن جرير الطبرى في تفسيره (١/ ٨٠). قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٣١١): رجال الجميع رجال الصحيح.

(٥) رواه ابن جرير في تفسيره (١/ ٨٠).

(٦) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/ ١٥٩). وأخرجه ابن مردويه بإسناد حسن عن أبي ذر، اهـ.

وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب النبى ﷺ : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ هم النصارى.

وقال الضحاك وابن جريج عن ابن عباس : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ : اليهود ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ : النصارى، وكذلك قال الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد، وقال ابن أبى حاتم ولا أعلم بين المفسرين فى هذا اختلافًا، وشاهد ما قاله هؤلاء الأئمة من أن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون، الحديث المتقدم، وقوله تعالى فى خطابه مع بنى إسرائيل فى سورة البقرة ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠] وقال فى المائدة ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠] وقال تعالى : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩] وفى السيرة عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه لما خرج هو وجماعة من أصحابه إلى الشام يطلبون الدين الحنيف قالت له اليهود : إنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله، فقال : أنا من غضب الله أفر، وقالت له النصارى : إنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من سخط الله، فقال : لا أستطيعه فاستمر على فطرته وجانب عبادة الأوثان ودين المشركين ولم يدخل مع أحد من اليهود ولا النصارى، وأما أصحابه فتنصروا ودخلوا فى دين النصرانية لأنهم وجدوه أقرب من دين اليهود إذ ذاك، وكان منهم ورقة بن نوفل حتى هداه الله بنبيه لما بعثه آمنَ بما وجد من الوحى رضى الله عنه.

(**مسألة**) والصحيح من مذاهب العلماء أنه يغتفر الإخلال بتحرير ما بين الضاد والظاء لقرب مخرجيهما، وذلك أن الضاد مخرجها من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، ومخرج الظاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا ولأن كلا من الحرفين من الحروف المجهورة ومن الحروف الرخوة ومن الحروف المطبقة فلهذا كله اغتفر استعمال أحدهما مكان الآخر لمن لا يميز ذلك والله أعلم، وأما حديث : «**أنا أفصح من نطق بالضاد**»[1] فلا أصل له والله أعلم.

(فصل) اشتملت هذه السورة الكريمة وهى سبع آيات على حمد الله وتمجيده والثناء عليه بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العليا، وعلى ذكر المعاد وهو يوم الدين وعلى إرشاده عبيده إلى سؤاله والتضرع إليه والتبرى من حولهم وقوتهم، وإلى إخلاص العبادة له وتوحيده بالألوهية تبارك وتعالى وتنزيهه أن يكون له شريك أو نظير أو مماثل، وإلى سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم وهو الدين القويم وتثبيتهم عليه حتى يقضى بهم ذلك إلى جواز الصراط الحِسِّى يوم القيامة المفضى بهم إلى جنات النعيم فى جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، واشتملت على الترغيب فى الأعمال الصالحة ليكونوا مع أهلها يوم القيامة والتحذير من مسالك الباطل لئلا يحشروا مع سالكيها

(١) موضوع : أورده العجلونى في كشف الخفاء (١/ ٢٣٢)، وقال : قال في اللآلئ : معناه صحيح، ولكن لا أصل له كما قال ابن كثير وغيره من الحفاظ.

يوم القيامة وهم المغضوب عليهم والضالون، وما أحسن ما جاء إسناد الإنعام إليه فى قوله تعالى ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وحذف الفاعل فى الغضب فى قوله تعالى ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وإن كان هو الفاعل لذلك فى الحقيقة كما قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [المجادلة: ١٤] الآية، وكذلك إسناد الضلال إلى من قام به وإن كان هو الذى أضلهم بقدره كما قال تعالى ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧] وقال ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه سبحانه هو المنفرد بالهداية والإضلال لا كما تقول الفرقة القدرية ومن حذا حذوهم من أن العباد هم الذين يختارون ذلك ويفعلونه، ويحتجون على بدعتهم بمتشابه من القرآن ويتركون ما يكون فيه صريحًا فى الرد عليهم، وهذا حال أهل الضلال والغى وقد ورد فى الحديث الصحيح [١] «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم» يعنى فى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧] فليس -بحمد الله-، لمبتدع فى القرآن حجة صحيحة لأن القرآن جاء ليفصل الحق من الباطل مفرقًا بين الهدى والضلال وليس فيه تناقض ولا اختلاف لأنه من عند الله تنزيل من حكيم حميد.

(فصل) يستحب لمن قرأ الفاتحة أن يقول بعدها آمين مثل يس، ويقال: أمين بالقصر أيضًا ومعناه اللَّهم استجب والدليل على استحباب التأمين ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى [٢] عن وائل بن حجر قال: سمعت النبى ﷺ قرأ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فقال: آمين مد بها صوته، ولأبى داود: رفع بها صوته، وقال الترمذى هذا حديث حسن، وروى عن على وابن مسعود وغيرهم. وعن أبى هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا تلا ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال: «آمين» حتى يسمع من يليه من الصف الأول، رواه أبو داود وابن ماجه [٣] وزاد فيه: فيرتج بها المسجد. والدارقطنى وقال: هذا إسناد حسن. وعن بلال أنه قال: يا رسول الله لا تسبقنى بآمين رواه أبو داود [٤]، ونقل أبو نصر القشيرى عن الحسن وجعفر الصادق أنهما شددا الميم من آمين مثل ﴿ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢] قال أصحابنا وغيرهم: ويستحب ذلك لمن هو خارج الصلاة، ويتأكد فى حق المصلى، وسواء كان منفردًا أو إمامًا أو مأمومًا وفى جميع الأحوال، لما جاء فى الصحيحين [٥] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» ولمسلم [٦] أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال أحدكم فى الصلاة آمين والملائكة فى السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه»

---

(١) البخاري (٤٥٤٧)، مسلم (٢٦٦٥) من حديث عائشة رضى الله عنها.
(٢) صحيح: أحمد (١٨٣٦٣)، أبو داود (٩٣٢)، الترمذي (٢٤٨).
(٣) ضعيف الإسناد: أبو داود (٩٣٤)، ابن ماجه (٨٥٣)، قال البوصيرى في مصباح الزجاجة (١/ ١٠٦): هذا إسناد ضعيف، أبو عبد الله لا يعرف حاله، وبشر ضعفه أحمد، وقال ابن حبان: يروى الموضوعات. اهـ.
(٤) ضعيف: أبو داود (٩٣٧)، انظر: ضعيف سنن أبى داود رقم (٩٣٧).
(٥) البخاري (٧٨٠)، مسلم (٤١٠). (٦) مسلم (٤١٠).

قيل بمعنى من وافق تأمينه تأمين الملائكة: فى الزمان وقيل: فى الإجابة وقيل: فى صفة الإخلاص، وفى صحيح مسلم [١] عن أبى موسى مرفوعًا: «إذا قال - يعنى الإمام - ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فقولوا آمين يجبكم الله» وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: قلت: يا رسول الله ما معنى آمين؟ قال: «رب افعل» [٢] وقال الجوهرى: معنى آمين: كذلك فليكن. وقال الترمذى: معناه لا تخيب رجاءنا. وقال الأكثرون: معناه اللَّهم استجب لنا.

وحكى القرطبى عن مجاهد وجعفر الصادق وهلال بن يساف أن آمين اسم من أسماء الله تعالى وروى عن ابن عباس مرفوعًا ولا يصح، قاله أبو بكر بن العربى المالكى. وقال أصحاب مالك: لا يؤمن الإمام ويؤمن المأموم لما رواه مالك [٣] عن سمى عن أبى صالح عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «وإذا قال - يعنى الإمام - ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فقولوا: آمين» الحديث واستأنسوا أيضًا بحديث أبى موسى عند مسلم [٤]: وإذا قرأ ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فقولوا: آمين. وقد قدمنا فى المتفق عليه «إذا أمن الإمام فأمنوا» وأنه عليه الصلاة والسلام كان يؤمن إذا قرأ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وقد اختلف أصحابنا فى الجهر بالتأمين للمأموم فى الجهرية وحاصل الخلاف أن الإمام إن نسى التأمين جهر المأموم به قولاً واحدًا وإن أمن الإمام جهرًا فالجديد أن لا يجهر المأموم وهو مذهب أبى حنيفة ورواية عن مالك لأنه ذكر من الأذكار فلا يجهر به كسائر أذكار الصلاة، والقديم أنه يجهر به وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل والرواية الأخرى عن مالك لما تقدم: «حتى يرتج المسجد» ولنا قول آخر ثالث: أنه إن كان المسجد صغيرًا لم يجهر المأموم؛ لأنهم يسمعون قراءة الإمام وإن كان كبيرًا جهر ليبلغ التأمين من فى أرجاء المسجد والله أعلم. وقد روى الإمام أحمد [٥] فى مسنده عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ ذكرت عنده اليهود فقال: «**إنهم لن يحسدونا على شىء كما يحسدونا على الجمعة التى هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التى هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الإمام: آمين**» ورواه ابن ماجه [٦] ولفظه: «**ما حسدتكم اليهود على شىء ما حسدتكم على السلام والتأمين**».

وله [٧] عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**ما حسدتكم اليهود على شىء ما حسدتكم على قول: آمين فأكثروا من قول: آمين**» وفى إسناده طلحة بن عمرو وهو ضعيف، وروى ابن مردويه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**آمين: خاتم رب العالمين على لسان: عباده المؤمنين**» [٨] وعن

---

(١) مسلم (٤٠٤).

(٢) أورده السيوطى في الدر المنثور (١/ ٤٥)، وعزاه إلى تفسير جويبر وتفسير الكلبى.

(٣) مالك في الموطأ (١٩٦)، البخاري (٧٨٢)، مسلم (٤١٠).

(٤) مسلم (٤٠٤). (٥) **صحيح**: أحمد (٢٤٥٠٨).

(٦) **صحيح**: ابن ماجه (٨٥٦) من حديث عائشة به، قال البوصيرى في مصباح الزجاجة (١/ ١٠٦): هذا إسناد صحيح، احتج مسلم بجميع رواته.

(٧) **ضعيف الإسناد**: ابن ماجه (٨٥٧) من حديث ابن عباس به. قال البوصيرى في مصباح الزجاجة (١/ ١٠٧): هذا إسناد ضعيف؛ لاتفاقهم على ضعف طلحة بن عمرو. اهـ.

(٨) **ضعيف جدًا**: رواه ابن عدى في الكامل (٦/ ٤٤٠)، وفي إسناده أبو أمية بن يعلى، وهو ضعيف الحديث.

أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت آمين فى الصلاة وعند الدعاء لم يعط أحد قبلى إلا أن يكون موسى، كان موسى يدعو وهارون يؤمن فاختموا الدعاء بآمين فإن الله يستجيبه لكم»[(١)].

(قُلْتُ): ومن هنا نزع بعضهم فى الدلالة بهذه الآية الكريمة وهى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٨-٨٩] فذكر الدعاء عن موسى وحده ومن سياق الكلام ما يدل على أن هارون أمّن فنزل منزلة من دعا لقوله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩] فدل ذلك على أن من أمّن على دعاء فكأنما قاله، فلهذا قال من قال: إن المأموم لا يقرأ لأن تأمينه على قراءة الفاتحة بمنزلة قراءتها، ولهذا جاء فى الحديث: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة» رواه أحمد فى مسنده[(٢)] وكان بلال يقول: لا تسبقنى بآمين يا رسول الله[(٣)]. فدل هذا المنزع على أن المأموم لا قراءة عليه فى الجهرية والله أعلم.

ولهذا قال ابن مردويه: حدثنا أحمد بن الحسن حدثنا عبد الله بن محمد بن سلام حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا جرير عن ليث ابن أبى سليم عن كعب عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال الإمام: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فقال: آمين، فوافق آمين أهل الأرض آمين أهل السماء غفر الله للعبد ما تقدم من ذنبه، ومثل من لا يقول: آمين كمثل رجل غزا مع قوم فاقترعوا فخرجت سهامهم ولم يخرج سهمه فقال: لمَ لم يخرج سهمى؟ فقيل: إنك لم تقل آمين»[(٤)].

(١) أخرجه بمعناه ابن خزيمة في صحيحه (٣/ ٣٩) برقم (١٥٨٦)، وفي إسناده: زربى بن عبد الرحمن، ضعيف.
(٢) تقدم تخريجه. (٣) تقدم تخريجه.
(٤) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٣١٥) برقم (٢٩٨)، وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٢٩٦)، برقم (٦٤١١) عن جرير عن ليث به، قال الهيثمي في المجمع (٢/ ١١٣): فيه ليث بن أبي سليم وهو ثقة مدلس، وقد عنعنه. اهـ. وقال السيوطى في الدر المنثور: سنده جيد. اهـ.

openkandil.com